الفرج بعد الشدة

في

قصص القرآن الكريم

تأليف:

د. عبد الله بن عبده العواضي

المقدمة

الحمد لله الحكيم في قدره وقضائه، الملك العدل في أرضه وسمائه، جعل النعيم في الرضا بحكمه، والرَّوْح في التسليم لأمره.

والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي لقي من صنوف الشدائد أشدها، ومن سهام الكروب أحدها، فما وهن لما أصابه من الضراء، ولا يئس من شروق السراء عند تطاول ليل البلاء.

فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الصابرين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وسلم تسليما.

أما بعد:

فإن الإنسان ما دام في هذه الدنيا فهو عرضة للرزايا، وهدف لسهام البلايا، التي تطوقه بقيودها حينًا، ثم تطلقه من أسرها حيناً آخر، ولايزال كذلك بين يدي السراء والضراء حتى يوافيه أجله؛ لأنه لن يصفو عيش من كدر إلا في الجنة، أما في دار الفناء فذاك مطمع لا يُنال.

وفي ظلمات الشدائد التي تغشى المرءَ يلتفت حينها يمنة ويسرة فلا يرى إلا ظلامًا متراكمًا، لا يجد من كثافته خيوط ضياء تهديه إلى النجاة، فعندها يبلغ به الكرب درجة اليأس من الفرج، وتبدلِ الحال من الضيق إلى السعة، بل قد يعترض على الأقدار ويسوء أدبه مع مقدِّرها. وهذه حال الإنسان من حيث هو، إلا من منَّ الله عليه بالصبر والإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[الروم:36]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾[الإسراء:83].

لكن المؤمن الصابر، الراضي عن الله يوقن بأن دجى الشدة مهما طال فسيأتي فجر الفرج لا محالة، فسنة الله قد جرت في هذه الحياة أن الفرج يتلو الشدة، وأن العسر يعقبه اليسر، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \*

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[الشرح:5-6].

فلا تجزعنْ إن أظلمَ الدهرُ مرّةً ... فإنّ اعتكار الليل يؤذن بالفجرِ([[1]](#footnote-1)).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و اعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، و أن مع العسر يسرا)([[2]](#footnote-2)).

قال التنوخي- بعد سوقه أخبار بعض الشدائد وكيف فرج الله منها-: " وكل هَذِه أَخْبَار عَن محن عَظِيمَة انجلت بمنح جليلة، لَا يُؤدى شكر الله عَلَيْهَا، وَيجب على الْعَاقِل تأملها، ليعرف كُنه تفضل الله عز وَجل بكشف شدائده وإغاثته، بإصلاح كل فَاسد لمن تمسك بِطَاعَتِهِ، وأخلص فِي خَشيته، وَأصْلح من نِيَّته، فسلك هَذِه السَّبِيل، فَإِنَّهَا إِلَى النجَاة من المكاره، أوضح طَرِيق، وَأهدى دَلِيل"([[3]](#footnote-3)).

روي عن بعض الصَّالِحين أنه ألح عَلَيْهِ الْغم، وضيق الصَّدْر، وَتعذر الْأُمُور، حَتَّى كَاد يقنط، فَكَانَ يَوْمًا يمشي، وَهُوَ يَقُول:

أرى الْمَوْت لمن أَمْسَى ... على الذل لَهُ أصلحْ

فَهَتَفَ بِهِ هَاتِف، يسمع صَوته، وَلَا يرى شخصه، أَو أرِي فِي النّوم، كَأَن قَائِلا يَقُول:

أَلا يأيها الْمَرْء ... الَّذِي الْهمّ بِهِ برَّحْ

إِذا ضَاقَ بك الْأَمر ... ففكّر فِي ألم نشرحْ

فَإِن الْعسر مقرون ... بيسرين فَلَا تَبْرَحْ

قَالَ: فواصلت قرَاءَتهَا فِي صَلَاتي، فشرح الله صَدْرِي، وأزال همي وكربي، وَسَهل أَمْرِي([[4]](#footnote-4)).

بل إن الشدة إذا تناهت، وأوصدت أمام المكروب أبواب الخروج منها جاء الفرج من الله تعالى، قال علي رضي الله عنه: "عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء"([[5]](#footnote-5)).

و"كتب سعيد بن حميد، إِلَى عبيد الله بن عبد الله بن طَاهِر كتاباً ، قَالَ فِيهِ: وَأَرْجُو أَن يكْشف الله بالأمير أعزه الله هَذِه الْغُمَّة الطَّوِيل مداها، الْبعيد مُنْتَهَاهَا؛ فَإِن طولهَا قد أطمع فِي انْقِضَائِهَا، وتراخي أَيَّامهَا قد سهّل سَبِيل الأمل لفنائها"([[6]](#footnote-6)).

وقال الشاعر:

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجًا ... فأضيقُ الأمر أدناه إلى الفرجِ([[7]](#footnote-7)).

وقيل: "المحن تَأْدِيب من الله، وَالْأَدب لَا يَدُوم، فطوبى لمن تصبر على التَّأْدِيب، وَتثبت عِنْد المحنة"([[8]](#footnote-8)).

والمؤمن يحتاج في كربته إلى هذا الاعتقاد، مع يقينه بحسن فعل ربه الكريم، وثقته بفضله العميم، وحسن ظنه به، وأن كربته خير ساقه الله إليه وإن كان في قالب شر في ظاهر الأمر؛ فإن الدواء غالبًا مُرّ الطعم، فمن عمر قلبه بهذه الأمور هان عليه بلاؤه وقرب انقضاؤه.

قَالَ بعض الصَّالِحين: "اسْتعْمل فِي كل بلية تطرقك حسنَ الظَّن بِاللَّه عز وَجل فِي كشفها؛ فَإِن ذَلِك أقرب بك إِلَى الْفرج"([[9]](#footnote-9)).

وَكَانَ يُقَال: خف المضار من خلل المسار، وارج النَّفْع من مَوضِع الْمَنْع، واحرص على الْحَيَاة بِطَلَب الْمَوْت؛ فكم من بَقَاء سَببه استدعاء الفناء، وَمن فنَاء سَببه إِيثَار الْبَقَاء، وَأكْثر مَا يَأْتِي الْأَمْن من قبل الْفَزع([[10]](#footnote-10)).

وقيل: رب مَحْبُوب فِي مَكْرُوه، ومكروه فِي مَحْبُوب، وَكم مغبوط بِنِعْمَة هِيَ داؤه، ومرحوم من دَاء هُوَ شفاؤه([[11]](#footnote-11)).

وقَالَ إِسْحَاق العابد: رُبمَا امتحن اللهُ العَبْدَ بمحنة يخلصه بهَا من الهلكة، فَتكون تِلْكَ المحنة أجل نعْمَة([[12]](#footnote-12)).

وقال الله وهو أصدق القائلين: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:216].

قال ابن القيم رحمه الله: "فِي هَذِه الْآيَة عدَّة حكم وأسرار ومصالح للْعَبد؛ فَإِن العَبْد إِذا علم أَن الْمَكْرُوه قد يَأْتِي بالمحبوب والمحبوب قد يَأْتِي بالمكروه لم يَأْمَن أَن توافيه الْمضرَّة من جَانب المسرّة وَلم ييأس أَن تَأتيه المسرة من جَانب الْمضرَّة؛ لعدم علمه بالعواقب؛ فَإِن الله يعلم مِنْهَا مَالا يعلمهُ العَبْد وَأوجب لَهُ ذَلِك أموراً مِنْهَا: أَنه لَا أَنْفَع لَهُ من امْتِثَال الْأَمر وَإِن شقّ عَلَيْهِ فِي الِابْتِدَاء؛ لِأَن عواقبه كلهَا خيرات ومسرات ولذات وأفراح وَإِن كرهته نَفسه فَهُوَ خير لَهَا وأنفع"([[13]](#footnote-13)).

روى الْأَصْمَعِي عَن أَعْرَابِي أَنه قَالَ: "خف الشَّرّ من مَوضِع الْخَيْر، وارج الْخَيْر مَوضِع الشَّرّ، فَرب حَيَاة سَببهَا طلب الْمَوْت، وَمَوْت سَببه طلب الْحَيَاة، وَأكْثر مَا يَأْتِي الْأَمْن من نَاحيَة الْخَوْف"([[14]](#footnote-14)).

قال بعض العارفين: ارضَ عن الله في جميع ما يفعله بك؛ فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك. فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين فتسقط من عينه([[15]](#footnote-15)).

ولا يظنن ظان أن الفرج الآتي بعد الشدة يكون في الدنيا فحسب، ليس الأمر كذلك؛ فإن الشدة قد تستمر بالمؤمن إلى أن يموت بها، لكنه بموته على تلك الشدة صابراً محتسبًا يلقى الفرج الذي لا شدة بعده، وهو دخول الجنة ونيل رضوان الله، فهذا حبيب النجار الداعية المؤمن يقتله قومه وطأً بأقدامهم قال الله تعالى عنه: ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾[يس:26-27].

قال ابن كثير: " وقال الله له: { ادْخُلِ الْجَنَّةَ } ، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سُقْم الدنيا وحزنها ونَصَبها"([[16]](#footnote-16)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مستريح ومستراح منه، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب"([[17]](#footnote-17)).

وفي رواية لابن حبان: " ( المؤمن يموت ويستريح من أوصاب الدنيا وبلائها ومصيباتها"، و في رواية لأحمد: " العبد الصالح يستريح من نصب الدنيا وهمها".

ألا وإن مما يخفف الكرب عن المكروب: قراءة قصص المكروبين الذي نجاهم الله مما دهاهم؛ وهذه طريقة القرآن الكريم؛ فإن الله تعالى ذكر قصصًا كثيرة عن الأنبياء عليهم السلام ؛ تسلية لرسوله محمد صلى الله عليه حينما لقي شدائد كثيرة في دعوة المشركين وأهل الكتاب.

قال أبو حيان: " ذكرَ الله قصصًا من قصص الأنبياء وما جرى لهم مع قومهم من الخلاف؛ وذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، وليتأسى بمن قبله من الأنبياء فيخف عليه ما يلقى منهم من التكذيب وقلة الأتباع، وليعلم المتلو عليهم هذا القصص عاقبة من كذب الأنبياء"([[18]](#footnote-18)).

وقال الشربيني: "ولما تكلم سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد والنبوّة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما يناله من قومه، وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض"([[19]](#footnote-19)).

وقد جرى في طبيعة الإنسان أن يسلو بأمثاله ممن شاكل حاله حاله أو زاد عليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسمًا فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله! فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: (يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)([[20]](#footnote-20)).

وقال حكيم لرجلٍ رآه مَغْموماً: "لو أحضَرْتَ قلبَك ما فيه الناسُ من المصائب، لقلَّ همُّك"( [[21]](#footnote-21)).

وقال شاعر:

ولولا الأُسَى ما عشتُ في النَّاسِ ساعةً ... ولكنْ إذا ما شئتُ قابلَني مِثلي

وقال آخر:

وهوَّنَ وجدي عن خليليَ أنني ... متَى شئتُ لاقيتُ امرأً ماتَ صاحبُهْ

وقال آخر:

ومما يؤدّيني إلى الصبر والعزا ... تردّدُ فكري في عموم المصائب([[22]](#footnote-22)).

لهذا سنسلط الضوء على قصص القرآن الكريم التي حصل فيها فرج بعد شدة؛ ويسر بعد عسر؛ ليتفاءل من خلالها المغموم ويسلو المحزون بحصول الفرج ؛ ففي تلك القصص القرآنية سلوة لكل مهموم، وبارقة أمل لكل مكروب، فما أحسن أن نتدبرها من خلال النظر في شدائد أهلها وكيف جاءهم الفرج من الرب الكريم.

وسيقسم الحديث في كل قصة إلى:

1-مقدمة.

2-الشدة.

3-الفرج.

4-عظات وعبر.

نسأل الله أن ينفس عن كل مكروب كربه، ويفرج عن كل مغموم غمه، ويزيل عن كل مهموم همه.

والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: د. عبد الله بن عبده العواضي.

20/ربيع الآخر/1442هـ

**الفرج بعد الشدة على نوح عليه السلام**

نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد بعث إلى قوم مشركين، ومكث في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وفي خلال هذه السنوات المديدة لقي في دعوة قومه شدة متنوعة، ثم منّ الله تعالى عليه بالفرج بعد تلك الشدة الممتدة.

**أولاً: الشدة:**

1- تكذيب قومه له. وتكذيب الصادق ليس بالأمر بالسهل في نفوس الصادقين. قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:105]، وقال: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[هود:32]. ولذلك شكا نوح إلى ربه من هذه الشدة فقال:﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾[الشعراء:117].

2-اتهامه بالضلال! وهو المهتدي الهادي عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[الأعراف:60].

3- اتهامه بإرادة المصالح الشخصية من دعوته؛ فقد اتهموه بأنه إنما يريد بما جاء به السيادة عليهم فيصبح فيهم آمراً ناهيًا، وهذا صورة من صور تكذيبه، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون:24].

4- رميه بالجنون. وذلك لأن الكلام الذي جاء به لا يقوله عاقل في اعتقادهم؛ لغرابته على ما عهدوه، وليصدوا الناس عنه، وهذه حرب نفسية منهم يريدون بها ثني نوح عن سبيله، وإيلامه نفسيًا بهذه الفرية، قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾[المؤمنون:25].

5- السخرية منه، فلم يكتفوا بما سبق، بل استعملوا معه السخرية منه ومن أصحابه، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾[هود:27]، وقال: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾[هود:38]. يعني: " هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحوّلت نجارًا بعد النبوّة، وتعمل السفينة في البر؟!"([[23]](#footnote-23)).

6-خيانة زوجته له بموافقتها قومها على ما هم عليه. قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[التحريم:10].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه"([[24]](#footnote-24)).

7-كفر ابنه. قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[هود:42-43].

8-تهديده بالقتل رميًا بالحجارة. فحينما ثبت نوح عليه السلام في الشدائد السابقة لم يبق لديهم شيء إلا رميه بالشدة الأخيرة وهي تهديده بالقتل، ولكن بطريقة شديدة وهي الرمي بالحجارة حتى الموت، قال تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾[الشعراء:116].

9- طول الزمن في الدعوة والجدال لقومه مع قلة المستجيبين وصلف المعاندين.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت:14]، وقال: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[هود:32].

**ثانيًا: الفرج:**

الفرج هو النور الذي ينتظره المكروبون في ظلام شدتهم، والفجر الذي يرقبه المبتلَون في رهبة لياليهم، والأمل المنشود الذي يطلبه المغمومون في آلام غمومهم.

فهذا نبي الله نوح-عليه السلام- الذي لقي من أذى قومه ما لقي، وقد استعمل في دعوتهم إلى الحق وسائل عديدة كما بينتها سورة نوح، ولكن ذلك لم يلن شدتهم عليه، فانتظر عند ذلك فرج الله تعالى من شدائده.

فماذا فعل نوح بين يدي الفرج؟

لقد شكا نوح إلى ربه واستنصره على قومه، ورفع البيان الختامي لدعوته إلى مرسله العظيم سبحانه، فدعا –عليه السلام-ربه، فاستجاب الله دعوته، وحقق له فوق ما يرجو من الخير.

فكان مما قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ \* فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء:117-118]، وقال: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ )[القمر:10]، وقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ\* وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنبياء:76-77].

وبعد دعاء نوح عليه السلام أمره الله تعالى ببناء السفينة التي ستكون وسيلة نجاة له ولمن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾[المؤمنون:27].

فصنع نوح السفينة فجاء الطوفان فركب نوح والمؤمنون سفينتهم فنجوا، وحل الغرق بالكافرين فهلكوا.

قال الله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ \* وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ \* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ \* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ \* وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[القمر:11-16].

وهكذا ذهبت الشدة عن نوح والمؤمنين معه بمجيء فرج الله تعالى، فغدوا في أمن بعد الخوف، وراحة بعد التعب، وعز بعد الذل، وشفاء الصدور عند رؤية هلاك القوم الظالمين.

**ثالثًا: العبر والعظات:**

1-مهما تطاول أمد الشدة على المؤمنين فسيأتي الفرج من رب العالمين، فاصبر-أيها المكروب- واسلك أسباب الفرج المشروعة، وستأتيك البشائر.

قال الشاعر:

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ ... وَضَاقَ لِمَا بِهَا الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَأَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

وَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... وَلَا أَغْفَى بِحِيلَتِهِ الْأَرْيبُ

أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ "([[25]](#footnote-25)).

2-واجه نوح تلك الشدائد بالصبر وحسن التعامل ولين الإجابة، وبيان أمانته ونصحه لقومه، وتبرئة نفسه من المصالح الشخصية، والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذا كله من سعة صدره في هذه الشدائد التي واجهها، فلم يمنعه كربه من مواجهتهم بهذه المواجهة الحسنة. وكم من مكروب يضيق عطنه عن التصرف الصحيح.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:61-62]، وقال: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ \* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الشعراء:107-19].

3-حينما لم ير نوح عليه السلام استجابة من قومه مع طول الزمن في دعوتهم أرسل البرقية الأخيرة إلى ربه عبر شكواه ودعائه، حيث أخبر بأنه قد دعا قومه في جميع الأوقات وعلى اختلاف الأحوال: ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، ورغّبهم وحدّثهم عن نعم الله عليهم، وأخبر الله عن عصيانهم المستمر له ومكرهم به وتواصيهم على الضلال، ثم بعد هذه الشكوى في هذه الشدة دعا على قومه فاستجاب الله دعاءه([[26]](#footnote-26)).

4-في نهاية وظيفة نوح الرسالية أخبره الله بالنتيجة النهائية: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾، وعقب ذلك سكب على قلبه الطهور تسلية عن حزنه على إعراضهم وعنادهم؛ حتى يُذهب الشدة عن رسوله الكريم.

6-الدعاء من أعظم وسائل الفرج والخروج من الشدة، فلا يتركه المكروب ولو طال زمن الكربة؛ فلعل بعض الشدائد لا تنجلي إلا باستمرار الدعاء، وبعضها قد تنكشف بدعوة صادقة تخرج من قلب موقن بالله:

لما سيق الحسن البصري إلى الحجاج وقد توعده قيل له بعد ذلك: بِمَ كنت تدعو؟ قَالَ: قلت: يَا غياثي عِنْد دَعْوَتِي، وَيَا عُدتي فِي ملمتي، وَيَا رَبِّي عِنْد كربتي، وَيَا صَاحِبي فِي شدتي، وَيَا وليي فِي نعمتي، وَيَا إلهي، وإله إِبْرَاهِيم، وَإِسْمَاعِيل، وَإِسْحَاق، وَيَعْقُوب، والأسباط، ومُوسَى، وَعِيسَى، وَيَا رب النَّبِيين كلهم أَجْمَعِينَ، وَيَا رب كهيعص، وطه، وطس، وَيس، وَرب الْقُرْآن الْحَكِيم، يَا كَافِي مُوسَى فِرْعَوْن، وَيَا كَافِي مُحَمَّد الْأَحْزَاب، صل على مُحَمَّد وَآله الطيبين الطاهرين الْأَخْيار، وارزقني مَوَدَّة عَبدك الْحجَّاج، وخيره، ومعروفه، واصرف عني أَذَاهُ، وشره، ومكروهه، ومعرته. فكفاه الله تَعَالَى شَره بمنه وَكَرمه"([[27]](#footnote-27)).

7- تأمل في الجواب العظيم من الله لنوح يوم دعا في شدته: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾[الصافات:75]، فقال: ﴿فلنعم﴾، وذكر ذلك بصيغة الجمع للتعظيم فقال: ﴿المجيبون﴾، إنها عناية الله ولطفه بأوليائه في الشدائد.

8- من الفرج الذي حصل لنوح: أن الله نجاه من: كيد قومه ومكرهم، ونجاه من بقية الشدائد التي لقيها منهم، ونجاه من العذاب الذي نزل بالكافرين به وهو الغرق.

9-عند حصول الفرج يكون الحمد على النعمة، ويستمر المؤمن على الدعاء لإتمامها والسلامة من انقلابها إلى استدراج ونقمة؛ ولذلك قال الله عن نوح عند استوائه على سفينته: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[المؤمنون:28-29].

10-قد تنهال على المؤمن عند الفرج نعم عظيمة ما كان يرجو إلا بعضها، وهذا من إكرام الله لعبده الصابر في الشدة؛ فقد أكرم الله نوحًا عند الفرج بنعم كثيرة: 1-إنجاء الله إياه 2-إنجاء أهله المؤمنين 3-هلاك ظالميه 4-جعل عمران الأرض بذريته، فهي نعمة عليه؛ لأنهم سيدعون له ويذكر بينهم مصالح أعماله وذلك مما يرحمه الله لأجله 5-الثناء الجميل والذكر الحسن له ممن جاء بعده 6- الأمان والسلامة له من أن يُذْكر بسوء في الآخِرين 7- أن جزاءه كان هو المثال والإمام لجزاء المحسنين على مراتب إحسانهم، فلعله أن يكون له كفل من كل جزاء يجزاه أحد على صبره إذا أوذي في الله؛ لأنه أول رسول أوذي في الله 8-وصفه بالعبودية الخاصة لله 9-الثناء عليه بكونه من العباد المؤمنين([[28]](#footnote-28)).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ \* وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ \* وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ \* سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ﴾[الصافات:75-82].

**الفرج بعد الشدة على إبراهيم عليه السلام**

على طريق نوح ومنهاجه وملته ودعوته جاء خليل الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[الصافات:83]. فدعا قومه في العراق، ثم انتقل بعد ذلك إلى الشام، فمصر فالحجاز.

وقد مر إبراهيم-عليه السلام-في حياتيه العائلية والدعوية بشدائد عظيمة، ثم فرج الله تعالى عنه منها.

**أولاً: الشدة:**

تعددت الشدائد التي لقيها النبي الكريم إبراهيم في الأماكن الأربعة التي حل فيها، فمن ذلك:

1-تكذيب أبيه له وعدم استجابته لدعوته، ثم تهديده بالقتل رميًا بالحجارة، وأمره له بالذهاب عنه فلا يلقاه ولا يكلمه زمنًا طويلاً. قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[مريم:46].

فما أعظمها من شدة حينما يكون لدى المؤمن الداعي إلى الحق أب فاسق أو كافر، فكيف إذا هدده ذلك الأب بالقتل، أو بطرده وإبعاده عنه!.

لكن إبراهيم الخليل عليه السلام واجه هذه الشدة باللين مع أبيه فقال: ﴿سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾[مريم:47].

2-رفض قومه دعوتَه لهم إلى التوحيد، وعنادهم وكثرة مجادلتهم، ثم القبض عليه لمعاقبته على تكسير أصنامهم، ثم الاتفاق على إلقائه في النار المتأججة.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ \* قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء:61-63].

ثم قال: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء:68].

وإنها لشدة عظيمة لقيها إبراهيم يوم أن كان وحيداً أمام جمع كبير من الأعداء يريدون الإضرار به، وليس له بينهم راحم أو منجد حتى أبوه أقرب الناس إليه غدا مع أعدائه!.

3-الخروج عن وطنه، ومفارقة عشيرته وجيرانه. وهجر المرء دياره ومعارفه إلى أرض أخرى لم يعرفها وأصناف من الناس لم يألفها؛ ليس بالأمر اليسير على النفس، فتحمل إبراهيم هذه الشدة ورحل إلى أرض الشام.

قال تعالى: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾[مريم:48].

4-وقوع زوجته سارة في يد ملك جبار، قد وشي إليه بجمالها وحسنها، فأراد ذلك الملك الاستحواذ عليها.

وهذه شدة عظيمة أليمة لنفس الرجل الغيور، تهون التضحية بالنفس دون وقوع هذا المكروه الشديد. ففي الصحيحين: أن إبراهيم عليه السلام (قَدِم أرضَ جَبَّارٍ وَمَعه سَارَة وكانت أحسَن النَّاسِ، فقال لهاَ: إنَّ هذا الَجبَّار إن يَعلَم أنَّكِ امرَأتيِ يغلبني عليكِ، فإن سَألَكِ فَأخبرِيه أنَّكِ أختِي؛ فَإنَّكِ أختِي في الإسلام، إني لا أعلم مسلماً في الأرض غَيري وغَيركِ. فأرسل إليها فأتي بها).

5-تأخر مجيء الأولاد حتى بلغ سن الشيخوخة. وللنفس شوق كبير للأطفال إذا تأخر مجيئهم سنتين أو ثلاثًا بعد الزواج، فكيف بمرور عشرات السنين، فإبراهيم لم يرزق بإسماعيل إلا وعمر إبراهيم ست وثمانون سنة.

6-وضع هاجر وإسماعيل في أرض بعيدة عنه لا أنيس فيها ولا شيء؛ فقد أمر الله تعالى خليله إبراهيم بالخروج بهاجر ورضيعها إسماعيل من الشام إلى مكة، ووضعهما هناك وحيدين، ورجوعه إلى الشام.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (...ثم جاء بها إبراهيم-يعني: هاجر- وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يتلفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ...).

إنه موقف يدمي له القلب؛ رجل بُشِّر بولد بعد عشرات السنين من الانتظار يُفرَّق بينه وبينه، ويفرق بينه وبين زوجه التي جاءت بالولد الذي انتظره، وإلى أين، وعلى أية حال؟ إلى أرض بعيدة ليس فيها بشر يرعاهما، ولكنه الابتلاء بهذه الشدة التي لم يكن من إبراهيم إلا تحملها؛ طاعة لله تعالى، فأعقبت جميعهم خيراً كثيرا.

7-الأمر لإبراهيم بذبح وحيده إسماعيل. وهذه شدة عظيمة من كل الجهات: شدة في موت الابن الذي ما جاء إلا بعد شوق وانتظار، وشدة في طريقة إماتته، وشدة في إماتته بيد أعظم من يحبه، وشدة في ذبحه وهو في تلك السن، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[الصافات:102].

"والمقصود من هذا الابتلاء: إظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه؛ فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة، فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤله وترعرع ولده أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ويخيب أمله ويزول أنسه، ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه وذلك أعظم الابتلاء. فقابل أمر ربه بالامتثال، وحصلت حكمة الله من ابتلائه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴾[الصافات:106]"([[29]](#footnote-29)).

8-خوفه من ضيفه الذين نزلوا به.

وذلك أن الملائكة نزلوا به في صورة بشر، و" دخلوا بغير إذن، وبغير وقت، وامتنعوا من الأكل"([[30]](#footnote-30)) الذي قدمه لهم" ومن شأن الناس إذا امتنع أحد من قبول طعامهم أن يقولوا له: لعلك غادر أو عدو، وقد كانوا يقولون للوافد: أحرب أم سلم"([[31]](#footnote-31))، "وكانت عندهم العلامة المؤمِّنة: أكل الطعام، وكذلك هو في غابر الدهر أمنة للنازل والمنزول به"([[32]](#footnote-32)).

قال الله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴾[الحجر:51-52]، وقال: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ \* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ \* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ \* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[الذاريات:25-28].

**ثانيًا: الفرج:**

مرت بإبراهيم عليه السلام تلك الشدائد المتنوعة وهو على أفق الرضا عن قدر الله تعالى، لم يهبط عنه إلى جزع أو ردٍّ أو قنوط، فأذهب الله عنه تلك العظائم بمجيء الفرج من كل شدة، على النحو الآتي:

1-استمر إبراهيم في دعوته أباه وتحمل قسوته عليه حتى مات الأب المشرك على شركه، وسلم إبراهيم من تهديده له بالقتل، فزالت تلك الشدة بموت الأب الكافر.

2-وحصل الفرج لإبراهيم من أذى قومه وإلقائه في النار؛ بأن الله نجاه منها، وخرج منها سالمًا لم تمسه النار بأذى، ثم نجاه تعالى من أرض العراق إلى أرض الشام، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ \* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ \* وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:68-71].

وقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت:24].

3-أذهب الله تعالى غم إبراهيم بفراق الأهل والوطن بتعويضه وطنًا خيراً من وطنه، وأهلاً خيراً من أهله، فاختار له خير البقاع: مكة والشام، ووهب له إسماعيل وإسحاق وجعلهما نبيين كريمين، ورزقه من نسلهما ذرية باقية، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[مريم:49-50].

قال التنوخي-وهو يتحدث عن الخليل عليه السلام-: " ثم ما كلفه الله تعالى إياه من مفارقة وطنه بالشام، لما غارت عليه سارة، من أم ولده هاجر، فهاجر بها وبابنه منها إسماعيل الذبيح عليهما السلام، فأسكنهما بواد غير ذي زرع، نازحين عنه، بعيدين منه، حتى أنبع الله تعالى لهما الماء، وتابع عليهما الآلاء، وأحسن لإبراهيم فيهما الصنع، والفائدة والنفع، وجعل لإسماعيل النسل والعدد، والنبوة والملك"([[33]](#footnote-33)).

وقال القاسمي: " حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية، فحينئذ يرق قلب الست على ولدها. وتتبدل قسوة الغيرة رحمة، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها، وأن الله لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم، ويري عباده جبره بعد الكسر، ولطفه بعد الشدة. وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم، إلى ذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه، من جعل آثارهما وموطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة. وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه، أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره"([[34]](#footnote-34)).

4-وفرج الله عن إبراهيم شدة أسر الملك الجبار لزوجته سارة بإطلاقه لها، ونال إبراهيم مع إطلاق سارة هاجر لتكون أم ولده إسماعيل، فجاء الفرج مصحوبًا بخير عظيم.

ففي الصحيحين أن سارة لما دخلت على الملك الجبار( ذهب يتناولها بيده فأُخذ، فقال: ادعي الله ولا أضرك، فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت فأُطلق، فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر.

فأقبلت سارة تمشي وإبراهيم يصلي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف من صلاته فقال لها: مهيم؟ قالت: خيراً؛ كف الله يد الفاجر، وأخدم خادمًا).

5-فرج الله عن إبراهيم شدة فقدِ الأولاد والانتظار الطويل لهم بمجيء إسماعيل وإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فهي بشارة بالابن والحفيد في وقت واحد، وهي بشارة كذلك بحياة إسحاق حتى يتزوج ويولد له.

قال تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ \* قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾[هود:71-73]. قال بعض المفسرين: " أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده؛ فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يَعْقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم "يعقوب"، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم، عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله، عَزَّ وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه"([[35]](#footnote-35))؛ ولهذا تكونت من ذرية إبراهيم عليه السلام أمم وشعوب، فكان هو الأب الثالث للعالم –كما قيل- بعد آدم ونوح، بل لم يأت نبي بعده إلا من ذريته، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنِ الصَّالِحِينَ ﴾[العنكبوت:27]، فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه"([[36]](#footnote-36)).

6-وفرج الله عن إبراهيم شدة الفراق بينه وبين زوجه هاجر وابنه إسماعيل بأن التقى بهما عدة مرات، وبنى مع إسماعيل البيت الحرام حينما شب، وعوضهما ذكراً حسنًا يذكران به عندما يذكر البيت الحرام.

7-وفرج الله عن إبراهيم في قضية الأمر بذبح إسماعيل بأن فداه بذبح عظيم، ورفع قدر إبراهيم لديه لما امتثل واستسلم لأمر الله، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[الصافات:103-107].

" فلا بلاء أعظم من بلاء يشهد الله تعالى أنه بلاء مبين، وهو تكليف الإنسان، أن يجعل بسبيل الذبح ابنه، وتكليفه , وتكليف المذبوح، أن يؤمنا ويصبرا، ويسلما ويحتسبا، فلما أديا ما كلفا من ذلك، وعلم الله عز وجل منهما صدق الإيمان، والصبر والتسليم والإذعان، فدى الابن بذبح عظيم وجازى الأب بابن آخر على صبره، ورضاه بذبح ابنه الذي لم يكن غيره، قال الله عز وجل: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[الصافات: 112] ، إلى قوله: ﴿لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: 113] ، وخلصهما بصبرهما وتسليمهما من تلك الشدائد الهائلة"([[37]](#footnote-37)).

8-وفرج الله عن خوف إبراهيم من ضيفه من الملائكة بأن أخبروه بأنهم رسل الله إليه ببشارته بإسحاق، وأنهم ذاهبون لإهلاك قوم لوط عليه السلام. فعند ذلك ذهب الروع عن إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات:28]، وقال: ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾[الحجر:53]، وقال: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ \* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ \* إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[الحجر:57-60]، وقال: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾[هود:74].

**ثالثًا: العبر والعظات:**

1-قد يقدر الله شديدة على عبده المؤمن تمحيصًا وصقلاً وأجراً، فإذا أراد أحد من البشر تجاوز حدود تلك الشدة جاءت عناية الله لتحول دون ذلك؛ فقد قدر الله على إبراهيم شدة تكذيب قومه وقسوتهم عليه وإلقاءه في النار إرادة إحراقه، فمنع الله عنه الإحراق؛ لأن ذلك لم يكن مما قدره عليه، قال تعالى: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾[الصافات:98].

2-قد يبتلي الله عبده ببلية لينقله منها إلى عطية، ولولا ذاك البلاء لما نال ذلك العطاء؛ فلولا البلاء لإبراهيم في العراق لما كانت هاجر، ولا الشام ولا مكة ولا ما جرى فيهما من الخيرات لخليل الرحمن ما جرى.

3-من أسباب الفرج: الدعاء، فقد دعا إبراهيم ربه بالذرية عند عزمه على الهجرة، قال تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[الصافات:100]، فـ" بعد أن أخبر أنه مهاجر استشعر قلة أهله وعقم امرأته، وثار ذلك الخاطر في نفسه عند إزماع الرحيل؛ لأن الشعور بقلة الأهل عند مفارقة الأوطان يكون أقوى؛ لأن المرء إذا كان بين قومه كان له بعض السلوّ بوجود قرابته وأصدقائه"([[38]](#footnote-38)).

قال أعرابي:

وإنّي لأُغْضي مُقْلتَيَّ على القَذى ... وألْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرَ أبْيَضَ أبْلَجا

وإنّي لأدْعو اللهَ والأمْرُ ضَيِّقٌ ... عَلَيَّ فما يَنْفَكُّ أنْ يَتَفرَّجا

وكمْ مِنْ فَتًى ضاقَتْ عَلَيْه وُجوهُه ... أصابَ لَها في دَعْوةِ اللهِ مَخْرَجا([[39]](#footnote-39)).

4- لقد كان الفرج بكشف شدة العقم فرجًا عظيمًا؛ حيث جاء الخبر بصيغة البشرى، والمبشَّر به غلام ليبقى به النسل، ولم يكن جارية، ثم وصف هذا الغلام بالحلم، ثم جاءت البشرى بغلام آخر أيضًا، ووصف هذا الغلام بالعلم، ثم تضمنت البشارة الثانية بشارة ثالثة وهي حصول عقب للغلام الثاني، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾[الصافات:101]، وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات:28]، وقال: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[هود:71].

5-لقد كان رزق الله لإبراهيم وزوجه بالولد آية عظيمة من آيات الله: فإن سارة إضافة إلى كونها عقيمًا قد صارت عجوزاً غير صالحة للحمل والولادة، وكذلك قد غدا إبراهيم شيخًا كبير السن؛ ولهذا كان عجب سارة كبيراً حيث قالت: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[هود:72]. فيفاد من هذا: أن الله تعالى إذا أراد تفريج شدة عن عبده فإنه بقدرته سيفرجها ولو لم توجد أسباب طبيعية لتفريجها، فثق بالله أيها المكروب فحسب وسيأتيك الفرج.

5-حمد الله على الفرج بعد الشدة، وهذا ما قاله إبراهيم، قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[إبراهيم:39].

6-لقد نال إبراهيم عليه السلام عقب شدائده نعمًا كثيرة، منها: الثناء الحسن من جميع الأمم، وهذه نعمة خلدت لإبراهيم، قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾[الصافات:108]، وقال: ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾[الشعراء:84]، قال ابن كثير: " قال مجاهد وقتادة: {وَاجْعَل لّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخرينَ} يعني: الثناء الحسن. قال مجاهد: كقوله تعالى {وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} الآية, وكقوله {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} الآية, قال ليث بن أبي سليم: كل ملة تحبه وتتولاه"([[40]](#footnote-40)).

**الفرج بعد الشدة على لوط عليه السلام**

ومن الأنبياء الذين لقوا من الشدة ما لقوا ثم فرج الله عنهم: لوط عليه السلام، فقد أرسل الله تعالى هذا النبي الكريم إلى قرية سدوم وفيها قوم مشركون، أضافوا إلى شركهم إتيانهم الفاحشة علنًا بلا زاجر ولا مانع، فدعاهم لوط إلى توحيد الله فلم يؤمنوا، ونهاهم عن الفاحشة فلم ينتهوا، وأوصلوا إليه من صور الشدة ما قدروا عليه، حتى نجاه الله تعالى.

**أولاً: الشدة:**

1-تكذيب قومه وعدم استجابتهم له، فقد دعاهم إلى ترك شركهم، وجد واجتهد في دعوتهم لذلك، ولكنه لم يلق منهم إلا الإعراض والجبروت. قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:160].

2-تفردهم بالمجاهرة بفاحشة لم يسبقهم إليها أحد، فقد زاد قوم لوط في الطغيان بإتيانهم الذكران مجاهرة، وغدت هذه الجريمة سمة عامة فيهم، وبها عُرفوا في العالمين، حتى إن حديث القرآن عن قصة لوط كان عن جريمتهم هذه أكثر من حديثه عن شركهم. قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ \* أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[النمل:54-55].

وقال: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[العنكبوت:28-29].

3-خيانة زوجته له، وكانت خيانتها بكفرها وموافقة قومها في رد دعوة لوط وإخبارهم بأضيافه، ولا ريب أن هذه شدة عظيمة حينما تكون زوجة المرء موافقة لعدوه متمالئة معهم عليه، فالعدو البعيد قد يتحرز الإنسان من شره ويستعد لمكره، لكن العدو القريب يصعب التحرز منه، ويبقى البال معذبًا به.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[التحريم:10].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه"([[41]](#footnote-41)).

4-الدعوة إلى تهجيره من بلادهم؛ لكونه لم يوافقهم على منكرهم العظيم، فقد طلبوا إخراجه كي يستريحوا من مواعظه، واتقاء لاستجابة ناس منهم له، فيؤدي ذلك إلى غلبتهم وقطعهم عن منكرهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[الأعراف:82].

"والمعنى: أنهم أفحموا عن ترويج شنعتهم والمجادلة في شأنها، وابتدروا بالتآمر على إخراج لوط عليه السلام وأهله من القرية؛ لأن لوطًا عليه السلام كان غريبًا بينهم وقد أرادوا الاستراحة من إنكاره عليهم شأن من يشعرون بفساد حالهم، الممنوعين بشهواتهم عن الإقلاع عن سيئاتهم، المصممين على مداومة ذنوبهم؛ فإن صدورهم تضيق عن تحمل الموعظة، وأسماعهم تصم لقبولها، ولم يزل من شأن المنغمسين في الهوى تجهم حلول من لا يشاركهم بينهم"([[42]](#footnote-42)).

5- مجيء الملائكة في صور شبان حسان إلى لوط عليه السلام، فضاق لذلك ضيقًا شديداً، ونزلت به شدة عظيمة؛ خوفًا من تعدي قومه المجرمين عليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾[هود:77].

يقول: وضاقت نفسه غماً بمجيئهم؛ وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه؛ ولذلك قال:﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾. أي: شديد بلاؤه، وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك([[43]](#footnote-43)).

6- إرادة الفاحشة بضيفه، فإن لوطًا لم يلبث إلا يسيراً حتى وصلت الأنباء إلى قومه بنزول ضيف عليه، فجاءوا مسرعين فرحين طمعًا في ركوب الفاحشة بهؤلاء الضيف، فلما علم لوط بذلك حضره بثه ونزلت به غمة شديدة لعلمه بغاية قومه، وضعفه الذي لا يستطيع بسببه دفع أولئك الصائلين المجرمين.

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود:78]، وقال: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[الحجر:67].

7-سوء أدبهم في خطابه؛ فإن قوم لوط أساءوا الأدب معه يوم أراد صدهم عن ضيفه، كما كانوا يسيئون إليه قبل ذلك أيضًا، والنفس الشريفة الطاهرة تجرحها الكلمة السيئة؛ لأن نقاءها غير معتاد على ذلك العكر، بخلاف النفس التي قد دأبت على سماع الكلمات الجارحة فبتعودها على ذلك تهون عليها.

وقد تلطف لوط في خطابهم وعرض عليهم العدول عن فاحشتهم للزواج بنساء قومه فذلك أطيب وأطهر، ودعاهم إلى تقوى الله لتحرزهم عن عزمهم الخبيث، ونهاهم عن فضيحته في ضيفه أن يعتدى عليهم ولم يقدر على الدفاع عنهم، ثم ترقى عن ذلك باحثًا عن رجل عاقل ينهاهم عن هذا القصد فلم يجد، ثم تمنى لو كان له أنصار وقوة يمنع بها عدوانهم.

فما كان جوابهم إلا المجاهرة بهدفهم المقيت وبأنهم ليس لهم في النساء من حاجة أو رغبة، وقالوا له: ألم نقل لك: لا يقربنَّك أحدٌ، فإنا لن نجد عندك أحدًا إلا فعلنا به الفاحشة؟

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ \* قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ \* قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[هود:78-80]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ \* وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ \* قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[الحجر:68-70].

**وقال: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[العنكبوت:29].**

**ثانيًا: الفرج:**

بعد تلك المرحلة من الشدة التي عاشها لوط عليه السلام جاءه فرج الله تعالى، على النحو الآتي:

1-ففي شدة مجيء الملائكة وإتيان قوم لوط لغايتهم السيئة ورؤية الملائكة خوف لوط عليهم ما كان من الملائكة إلا أن طمأنوا لوطًا وهدأوا من روعه فقالوا له: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾[هود:81]، وكان لوط لا يعلم أن هؤلاء الضيف ملائكة، فلما سمع كلامهم زال غمه.

وحينما دخل القوم المجرمون كانت العقوبة في انتظارهم؛ فقد طمس الله أعينهم على أيدي الملائكة فلم يروهم فارتدوا خائبين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[القمر:37]. وحينئذ زالت هذه الشدة عن لوط عليه السلام بهذا الفرج من الله تعالى.

2-وبعد ذلك جاء الفرج التام بأمر الملائكة لوطًا عليه السلام أن يخرج مع بناته المؤمنات في جزء من الليل، ويترك زوجته الكافرة وقومها لحلول العذاب بهم صباحًا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ \* قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \* قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ \* وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ \* وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾[الحجر:61-66].

ثم قال: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ \* فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾[الحجر:73-74].

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ \* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ \* مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[هود:81-83].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-حينما تتابع الشدائد شدة تلو شدة فإنها قد تؤذن بتتابع أنواع من الفرج فرجًا إثر فرج.

2-كانت نجاة لوط رحمة من الله به ونعمة عليه، ومكافأة له على شكره لله وصبره على تلك الشدائد، قال تعالى: ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[الأنبياء:75]، وقال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ \* نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾[القمر:34-35].

3-الدعاء من أسباب الفرج والنجاة من الشدة، فقد دعا لوط عليه السلام فقال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[الشعراء:169]، وقال: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾[العنكبوت:30].

**الفرج بعد الشدة على يعقوب عليه السلام(**[[44]](#footnote-44)**).**

في سورة يوسف حديث عن يعقوب عليه السلام وما جرى له من الشدائد، ثم ما من الله عليه من الفرج بعد طول سنين البلاء، وهي شدائد تتعلق بفقد الأولاد، ومكر بعضهم ببعض.

**أولاً: الشدة:**

**1- شدة فقد يوسف عليه السلام:**

كان ليوسف في قلب أبيه المحل الأعلى من بين إخوته لميزات صالحة تميز بها، وكان أولئك الإخوة يدركون ذلك فغاظهم الأمر وحسدوا يوسف أشد الحسد على تلك المنزلة.

فسعوا لشفاء نفوسهم المتخمة بالحقد لإبعاد يوسف عن أبيه، فمازالوا يفتلون من أبيهم في الذِّرْوَة والغارِب حتى انفردوا بيوسف فنالوا منه بغيتهم المقيتة، ثم عادوا من جريرتهم فأخبروا أباهم أن الذئب قد أكل يوسف!

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ \*

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ \* قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ \* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[يوسف:16-18].

فيا ليت شعري كيف كان وقع النبأ العظيم على قلب الأب الرحيم يعقوب عليه السلام الذي كان يحزنه أن يفارق يوسف لحظات، حتى قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾**[يوسف:13]**.فكيف حاله مع هذا الخطب الأليم؟!.

لكن يعقوب عليه السلام قابل هذه الشدة- رغم وجعها الكبير- بالصبر الجميل، محتسبًا مصابه عند الله تعالى قائلاً: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف:18].

قَالَ أبان بن تغلب: سَمِعت أَعْرَابِيًا يَقُول: من أفضل آدَاب الرِّجَال: أَنه إذا نزلت بأحدهم جَائِحَة اسْتعْمل الصَّبْر عَلَيْهَا، وألهم نَفسه الرَّجَاء لزوالها، حَتَّى كَأَنَّهُ لِصَبْرِهِ يعاين الْخَلَاص مِنْهَا والغناء؛ توكلاً على الله عز وَجل، وَحسنَ ظن بِهِ، فَمَتَى لزم هَذِه الصّفة لم يلبث أَن يقْضِي الله حَاجته، ويزيل كربته، وينجح طَلِبته، وَمَعَهُ دينه وَعرضه ومروءته"([[45]](#footnote-45)).

ومع صبر يعقوب الجميل ظل مصاحبًا للحزن الطويل، والدمع الغزير، وقلبه يعتصر ألمًا وشوقًا؛ يتألم من كون جرحه كان بمبضع أبنائه الذين كان ينبغي أن يكونوا هم الأُساة لا الجُناة، وأن يكونوا سبب سرور والدهم لا جالبي شرور عليه، والجرح حينما يكون بيد تصنعه وتغيب عن العين أقل ألمًا من جرح جارح تراه العين صباح مساء.

كما كان قلب يعقوب يذوب شوقًا إلى لقاء حبيبه الفقيد، وينتظر متى تشرق شمس برؤيته له.

**2-شدة فقد بنيامين:**

كان بنيامين سلوة يعقوب الأخيرة بعد يوسف عليه السلام، حيث ظل به متمسكًا، حذراً عليه من كيد إخوته.

لكنّ قدر الله تعالى جرى بأن تأتي الشدة الثانية على نبيه يعقوب عليه السلام؛ ليرفع بذلك درجته عنده، بل لتكون هذه الشدة الثانية هي مفتاح الخروج من شدائد آل يعقوب كلها.

فحينما التقى يوسف بإخوته يوم وردوا مصر-وكان عزيز مصر آنذاك قبل أن يعرفه إخوته-؛ طلب منهم أن يأتوا ببنيامين، وكأن ذلك بوحي من الله تعالى.

وكان إخوة يوسف يدركون أن لا مناص من تنفيذ طلب العزيز؛ لأنه سيمنع عنهم الكيل إن لم يأتوا به، وهم في حاجة شديدة إلى ذلك.

فما كان منهم إلا أن راودوا أباهم في ذلك، لكنه أبى أول مرة؛ متذكراً خيانتهم له في يوسف الذي مازال جرحه في قلبه غير مندمل **فقال** لهم: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ﴾**[يوسف:64]**.

غير أن يعقوب عليه السلام وافق على إرساله معهم؛ لشدة الحاجة إلى جلب الطعام.

فذهب بنيامين مع إخوته، ولكن احتبس في مصر، كما ذكرت الآيات.

فرجع أبناء يعقوب ليخبروا أباهم بذلك، فكان هذا الخبر فاجعة كبيرة للأب الثكلان بالابن الأول، وكيف وقد لحق به ابن آخر!

وهنا اشتد الأمر على يعقوب، وتضاعف ألمه، فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾**[يوسف:83]**.

إن فاجعة يعقوب بفقد بنيامين لم تنسه فاجعته بيوسف، بل جددت جرحها، وألقت الحياة في بثّها، فأسلم نفسه للكمد الكبير، والدمع الغزير، حتى فقد نور عينيه، ولا يكون ذلك إلا لطول البكاء، وعظم حزن النفس، **قال** تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ \* قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**[يوسف:84-86]**.

والبث: الهم الشديد، وهو التفكير في الشيء المسيء. والحزن: الأسف على فائت.

قال الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فلأَبكيَن على الفراق كما بكى |  | أسفًا لفُرقةِ يوسفٍ يعقوبُ |
| وَلأَدعُوَنَّكَ في الظلام كما دعا |  | عند البلية رَبّةُ أيوبُ([[46]](#footnote-46)). |

ولا شك أن هاتين الشدتين اللتين نزلتا بيعقوب شدتان عظيمتان جداً؛ فإن فقد الأولاد ليس بالأمر الهين على الآباء، خاصة على أبناء محبوبين.

إنه لا يعرف عظم ذلك إلا قلب أب أو قلب أم؛ إذ الأولاد هم فلذات الأكباد، وزينة الحياة الدنيا؛ ولهذا كان الصبر على موتهم من أسباب دخول الجنة؛ لعظم المصيبة بذلك:

**قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضتُ صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه؛ إلا الجنة)([[47]](#footnote-47)).

وأزيد من شدة فقد الولد موتًا: فقده ضياعًا؛ فموت الأولاد أهون من فقدهم بالضياع؛ لأن النفس تبقى بالضياع في عذاب الانتظار وعطشه، وإمكان اللقاء وحصوله، وخوف تعرضه للشر وحلوله به، وأما الموت فإن النفس تحزن ثم تسلو؛ ولهذا كان حزن يعقوب على يوسف شديداً.

**3-شدة عقوق البنين:**

فأبناء يعقوب العشرة بما فعلوا بيوسف غدوا عققة لأبيهم، وأنزلوا بأبيهم من الشدة أمراً عظيمًا، ومع ذلك لم يرقوا له ويرحموه وهم يرونه على تلك الحال التي أورثها فقد يوسف، فيا له من عقوق ما أمضّه، وضرر ما أشده!

**ثانيًا: الفرج:**

ابتلي يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه واحداً تلو الآخر، وعانى لذلك من شدة الثكل ما عانى، ثم منَّ الله عليه بالفرج الذي كان فوق ما يرجوه.

فإنه –عليه السلام- حين احتبس ابنه بنيامين في مصر بلغ الغاية من الشدة، وعندما تشتد عروة البلاء اشتداداً عظيمًا يأذن الله بالفرج الذي يقدره كما يشاء لعبده، **قال** الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إِذا الحادثاتُ بلغن المدى |  | وكادتْ تذوبُ لهنّ المُهَجْ |
| وجلَّ الْبلَاءُ وقلَّ العزاءُ |  | فَعِنْدَ التناهي يكون الْفَرَجْ([[48]](#footnote-48)). |

وقد مر الفرج الذي شمل يعقوب بثلاث مراحل: ريح قميص يوسف، وصول قميص يوسف، اللقاء السعيد في مصر.

فقد هبت ريح قميص يوسف إلى أنف يعقوب من مسافة بعيدة، فمحت تلك الريح رياحَ الحزن الذي عصف بقلب يعقوب بوصول القميص الأول.

فما أجمل هذه الريح التي طفقت تزيح غبار الأحزان والآلام، وتفسح الطريق أمام السعادة التي ستقبل من مصر على تلك النفس التي ثكلت وتجرعت غصص السنين.

**قال** تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾**[يوسف:94]**.

**والريح**: الرائحة، توجد في النسيم. أي: لأتنسم رائحته مقبلة إليّ؛ كناية عن تحققه وجودَه بما ألقى الله في روعه من حياته، وساق إليه من نسائم البشارة الغيبية بسلامته. وقد كان عظمَ رجاؤه بذلك من مولاه، ووثق بنيل مأموله ومبتغاه؛ ولذلك نهى نبيه عن الاستيئاس من روح الله. وإذا دنا أجل الضراء أخذت تهب نسائم الفرج حاملة عَرْف السراء، يدري ذلك كل من قوي إحساسه، وعظمت فطنته، واستنارت بصيرته، فيكاد أن يلمس في نهاية الشدة زهر الفرج، ولا يحنث إن آلى أنه يجد من نسيمه أزكى الفرج. عرف ذلك من عرف، فأحرى بمن نالوا من النبوة ذروة الشرف"([[49]](#footnote-49)).

فبقي يعقوب يتلذذ بتلك الريح، ولا يدري ماذا سيسير إليه وراءها، ويشتاق للوصول إلى داره، وما هو إلا زمن حتى جاءته مرحلة الفرج الثانية: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾**[يوسف:96]**.

" أي عاد بصيراً؛ لما حدث فيه من السرور والانتعاش، قالَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من حياة يوسف، وإنزال الفرج"([[50]](#footnote-50)).

فما أعظمَ سعادةَ يعقوب وهو يشم قميص حبيبه مستبشراً بحياته، متلذذاً بتلك الريح اليوسفية التي غابت عن أنفه سنين.

قال ابن حزم: " ومن القنوع أن يسر الإنسان ويرضى ببعض آلات محبوبه، وإن له من النفس لموقعاً حسناً وإن لم يكن فيه إلا ما نص الله تعالى علينا من ارتداد يعقوب بصيراً حين شم قميص يوسف عليهما السلام. وفي ذلك أقول:

لما منعت القرب من سيدي ... ولج في هجري ولم ينصفِ

صرت بإبصاريَ أثوابه ... أو بعض ما قد مسه أكتفي

كذاك يعقوب نبي الهدى ... إذ شفه الحزن على يوسفِ

شم قميصاً جاء من عنده ... وكان مكفوفاً فمنه شُفي([[51]](#footnote-51)).

وحينما وصل الفرج بقميص يوسف حمل معه البشرى باللقاء السعيد والعيش الرغيد، **قال** تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾**[يوسف:93]**.

فانتقل يعقوب بآله إلى مصر، وتكاد خُطاه تسبق أنفاسه؛ عجلاً لتكتحل عيناه بيوسف، ويضمه ضمة الوالد المشتاق إلى ولده الحبيب الغائب، فوصل يعقوب إلى مصر فاستقبله يوسف استقبالاً عظيمًا. وطوى القرآن الكريم عنا تلك اللحظات الحانية التي التقى فيها الأب والابن والشوقُ يملأ حناياهما، تاركًا لخيالنا السياحة الحرة في تصور تلك اللحظات السعيدة.

وحينما وصل يعقوب إلى تلك الحال السعيدة، كان أبناؤه قد تابوا من فعلتهم وندموا على ظلمهم، وطلبوا منه الاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ \* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[يوسف:97-98].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-من أسباب الفرج: عظم الرجاء وعدم اليأس من فرج الله ورحمته، كما كان حال يعقوب عليه السلام، وقد أعطاه الله ما رجاه وأمله.

2-العمل بأسباب الفرج المشروعة، فيعقوب أمر أبناءه بالرجوع إلى مصر للبحث عن يوسف وأخيه، **فقال** لهم: ﴿يَا بَنِيَ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾**[يوسف:87]**.

3-فصول الحياة مليئة بأسباب الأحزان والغموم، متخمة بموجبات القلق والخوف، غير أن تقلبات أحوالها، وتبدل أطوارها يعطي كل ذي ضيق فسحة من الأمل بأن شدائده إلى انفراج، وأن ظلام دُجاه إلى انبلاج.

4-ريح الفرج لا يجدها إلا المتفائلون، أما اليائسون فهم مصدودون عنها.

5- الحزن شيء غالب على النفس، فمتى كان حزنًا لا ينافي الرضا بالقضاء، ولا يخرج إلى أعمال سخط وجزع فإن صاحبه لا يذم به، وهكذا كان حزن يعقوب عليه السلام.

6- من هذه القصة نلاحظ" أن الفرج مع الكرب؛ وأن مع العسر يسراً، فإنه لما طال الحزن على يعقوب، واشتد به إلى أنهى ما يكون، ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب ومسهم الضر؛ أذن الله حينئذ بالفرج، فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة واضطراراً، فتم بذلك الأجر وحصل السرور، وعلم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة والرخاء، والعسر واليسر؛ ليمتحن صبرهم وشكرهم، ويزداد بذلك إيمانهم ويقينهم وعرفانهم"([[52]](#footnote-52)).

**الفرج بعد الشدة على يوسف عليه السلام([[53]](#footnote-53)).**

قصة يوسف عليه السلام نموذج فريد في حصول الفرج بعد الشدة؛ فقد مر يوسف عليه السلام بشدائد وعظائم آلت به بعد ذلك إلى الفرج الكبير.

إن يوسف عليه السلام قد تجرع من غصص الحياة شيئًا كثيراً، ولم يصل إلى منزلته العليا في الدنيا والآخرة إلا وقد طوّف في صنوف الشدائد سنين عدداً، وهكذا كل مؤمن صادق لا يصل إلى الترقيات إلا بعد تضحيات.

**أولاً: الشدة:**

وفي هذه القصة نجد صوراً للشدة التي لقيها يوسف، فمنها:

**1- شدة عداوة إخوته:**

لم يكن ليوسف ذنب يستحق به عداوة إخوته له إلا حب أبيه له أكثر منهم، ومن هنا لقي يوسف منهم العداوة الشديدة التي عبر عنها بغضهم وحسدهم له، والسعي لإنزال الضرر به، حتى قضت عدواتهم بعد ذلك بإلقائه في الجب والتفريق بينه وبين أبيه.

والعداوة من قريب يصبح ويمسي مع المرء يزلقه بنظرات الحنق والكره أشد من عداوة البعيد؛ ولهذا أمر الله تعالى بحسن صلة الأقارب صلة معنوية ومادية من أجل أن لا تحصل بينهم عداوات يدوم ضرها، ويطول العناء بها.

إن عداوة إخوة يوسف له كانت هي بوابة الشدائد التي مر بها يوسف في حياته بعد ذلك حتى فرج الله عنه منها.

**2- شدة الجُبّ:**

أُلقي يوسف عليه السلام في البئر، وبقي فيها أمداً يعلمه الله، ولعل هذه البئر كانت عميقة؛ حتى إن يوسف لم يستطع الخروج منها، أو أنه لم يكن فيها ما يتشبث به ليخرج منها.

ولا ريب أن ذلك المكان المظلم المخوف على طفل صغير فيه من الشدة ما فيه. وقد ظل فيه ينتظر يد النجاة ولم يدرِ متى تسعفه، وإلى أين ستمضي به!

وفي ذلك المكان الموحش زاده فيه شدةً إلى شدته استعراضُ يوسف لماضيه القريب وهو يشاهد بعين خياله قسوة إخوته وهي تسوقه بلا رحمة إلى مكانه الذي هو فيه، والأخ إنما ينتظر من أخيه النجدة والنصرة والشفقة والحب، لكن يوسف لم يلق من إخوته إلا أضداد ذلك.

وفي تلك الشدة لعله تذكر أباه ومن يحبه من أهله حيث غدا بمنأى عنهم، وكان ينتظر العودة إليهم فرحًا من فسحته فيفرحون لفرحه، وربما دار في خلده أنه قد يعود إليهم أو لا يعود فزاده ذلك غمًا إلى غمه، وهمًا إلى همه.

بل إن ألم فراق أبيه وأهله بقي شدةً مستمرة معه حتى منَّ الله عليه بلقائهم في مصر، فكم عانى من نوازع الحنين، وخواطر الشوق حين تمر به طيوف ذكراهم، ويترآى في خاطره مرآهم.

بقي يوسف على ذلك ولم يكن يعلم أن هذه الشدة ستنقله إلى شدائد أخرى تنتظره، قبل أن يصل إلى تحقق ما أنبأت عنه رؤياه.

**3- شدة الرِّق:**

خرج يوسف عليه السلام من الجب، ولكن إلى أيدي نخّاسين لا يعرفون للإنسانية قيمة إلا بمقدار قيمة السلعة التي إذا وصلت إلى أيديهم بحثوا لها عن يدٍ تشتريها منهم بما يرضون من الثمن.

انطلقت به تلك الأيدي بلا رحمة ولا أمانة لتبيع حراً كريمًا ظلمًا وعدوانًا، فباعته إلى عزيز مصر؛ ليصير رقيقًا عنده بعد أن كان سيداً عزيزاً في حضن والده النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

وحياة الرق حياة ذل وبلاء وحرمان وعناء، فكيف إذا كان ذلك المبتلى حراً فاسترق من غير وجه حق!

في هذه الحياة الجديدة التي صار إليها يوسف غدا أمره إلى غيره، وحياته يتحكم فيها سواه، وليس له إلا أن يخضع ويطيع، وما أشد هذا على النفس العزيزة، وأعظمه على النفس الكريمة!

**4- شدة افتتان امرأة العزيز بيوسف:**

حينما شغف يوسفُ امرأةَ العزيز حبًا، وأصبحت شديدة التعلق به؛ لحسنه وفضله؛ غدا ذلك شدة كبيرة واجهها يوسف عليه السلام؛ حيث إن تلك المرأة لم تكتفِ بالحب القلبي، بل سعت إلى مراودته عن نفسه، وهذا فصل ثانٍ من فصول هذه الشدة؛ لأنه إن وافقها عصى ربه وخان سيده، وجنى جناية عظيمة لها عواقبها الوخيمة، وإن اعتصم منها-وهو الذي كان-فإن انتقامها شديد، وهو الذي حصل.

مع ما احتف بهذه الشدة من دواعٍ الوقوع فيها التي لا ينجو منها إلا العباد المخلصون.

" وإذا كانت الشدة التي استقبلته أولاً[أي: شدة الجب] كانت تتعلق بحياته أو موته، فالشدة الثانية أخطر على نفس الصديق يوسف: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عن نفْسِهِ...﴾"([[54]](#footnote-54)).

فلما عصاها أدخلته فصلاً ثالثًا من فصول الشدة وهو تشويه سمعته أمام زوجها باتهامه بمراودتها، وتهمة البريء بالإساءة إلى من أحسن إليه في غيبته شديدة، فكيف إذا كانت بين يديه وفي حرمته التي يثور لأجلها كل غيور.

ومع هذا استمرت امرأة العزيز في تطويل حبل هذه الشدة على يوسف؛ حيث انتقلت به فيها إلى فصل آخر وهو: تجييش صواحبها ليعنها في مرادها، وتم ذلك أيضًا، وأعلنت في هذا الفصل الأخير الإصرارَ والوعيد الشديد إن لم يلبِّ لها طلبها، ولكن الله تعالى صرف عنه كيدهن بانتقاله إلى شدة أخرى، ولكن خارج هذا الإطار وهي إدخاله السجن.

**5- شدة السجن:**

استجاب الله تعالى دعاء يوسف عليه السلام فصرف عنه كيد النسوة، واتفقت كلمة الملأ على إدخاله السجن، وكان ذلك قضاء حسنًا من الله تعالى لما سيؤول إليه من الخير العظيم.

مع أن يوسف لقي في هذه الشدة العناء؛ بحيث صار في ظلمة سجن انقطع فيه عن الحياة والأحياء داخل ذلك المكان المحصور، فبعد أن كان يعيش في رحب وسعة وحركة غدا اليوم في ضيق وشظف وتقييد.

كما أن يوسف عليه السلام بقي مدة ليست قليلة وهو مظلوم فقد **قال** تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾**[يوسف:42]**.

وهذا يعني: أن يوسف لبث في السجن مدة لا تقل عن ثلاث سنين ولا تزيد عن تسع.

**ثانيًا: الفرج:**

لم يمر أحد بتعدد مشاهد الشدة في قصة يوسف كما مر يوسف عليه السلام؛ ولهذا كان له في كل شدة فرج.

غير أن بعض شدائده يسوق إلى شدة تالية، وهي بلا ريب درجة أخرى من درجات الصعود من عنق البلاء إلى رحابة النعماء.

فمن صور الفرج بعد الشدة في حق يوسف عليه السلام:

**أ-الفرج من عداوة إخوته وكيدهم:**

وكان ذلك بحصول الفرقة بينه وبينهم، وإن ساقه ذلك إلى شدائد، لكن ذلك أوصله إلى المنزلة العالية في الدنيا والآخرة، فكان بدء الفرج من يوم وضعوه في البئر ورحلوا عنه، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[النساء:19]**.

**ب-الفرج من عناء الجُبِّ:**

فقد هيأ الله تعالى أولئك السيَّارة دون غيرهم، وفي ذلك الزمان دون سواه، ليستقوا من تلك البئر دون غيرها؛ لينقلوا يوسف من جوف البئر إلى جوف القصر، ومنه سينتقل إلى العرش بعد تجاوز مرحلتين من مرحلة الشدة فقط.

وبينا يوسف في تلك البئر والغم يحاصره من كل جانب يطمئنه الله بالمستقبل السعيد الذي سينتظره، **قال** تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾**[يوسف:15]**.

" يقول تعالى ذاكرًا لطفه ورحمته وعائدته وإنزاله اليسر في حال العسر: إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق؛ تطييبًا لقلبه، وتثبيتًا له: إنك لا تحزن مما أنت فيه؛ فإن لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا، وسينصرك الله عليهم، ويعليك ويرفع درجتك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع"([[55]](#footnote-55)).

**ج-الفرج من شرِّ امرأة العزيز:**

فقد منَّ الله تعالى على يوسف بالخروج من فتنة هذه المرأة في كل مرة تحاول فيها نصب الفخ ليوسف:

ففي فخ البيت المغلق الأبواب الذي خلت به فيه من أجل مراودته فرج الله تعالى عنه بالهروب منها.

ومن فخ استمرار المراودة في ذلك الوقت فرج الله عنه بوصول زوجها، **قال** تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾**[يوسف:25]**.

ومن فخ تهمتها له بالمراودة فرج الله عنه بقدِّ قميصه من خلفه، وشهادة الشاهد بكونه مطلوبًا لا طالبًا؛ بناء على تلك الأمارة. **قال** تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾**[يوسف:28]**.

ومن فخ استنصارها بالنسوة عليه، وإصرارها واستمرارها في مراودته فرج الله عنه بالسجن، **قال** تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾**[يوسف:35]**.

وإن كانت امرأة العزيز ومن معها أرادوا ضر يوسف بالسجن إلا أن عملهم ذلك أوصله إلى نعم عظيمة، وهكذا ينبغي أن يتفاءل المؤمن ويرجو من بلائه النعمة، وصدق الشاعر:

**ولربّما انْتفع الْفَتى بضرار من ... يَنْوِي الضرار وضرّه من ينفع([[56]](#footnote-56)).**

**د-الفرج من ضيق السجن:**

بدأت خيوط نسج الفرج التام على يوسف عليه السلام برؤيا الملك، فكانت" هذه الرؤيا من مَلك مصر مما قَدّر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسفَ عليه السلام من السجن مُعزَّزًا مكرما"([[57]](#footnote-57)).

وقد جعل الله تعالى" تلك الرؤيا سببًا لخلاص يوسف عليه السلام من السجن، فعبر يوسف عليه السلام الرؤيا تعبيراً أدخل السرور على الملك، فأمر بإخراجه وتوليته خزائن مصر.

فخرج يوسف من السجن إلى المُلك والتمكين في الأرض **قال** تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾﴿وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**[يوسف:56-67]**.

وقد " بين تعالى أن إخوته لما أساءوا إليه، ثم إنه صبر على تلك الشدائد والمحن؛ مكنه الله تعالى في الاْرض، ثم لما بلغ أشده آتاه الله الحكم والعلم. والمقصود بيان أن جميع ما فاز به من النعم كان كالجزاء على صبره على تلك المحن"([[58]](#footnote-58)).

وهكذا خرج يوسف من سجنه عزيزاً بعد الذل، سيداً بعد الرق، بريئًا بعد التهمة، آمراً على مملكة بعد أن كان مأموراً فيها، سعيداً متسع الصدر بعد أن ضيق عليه أمره، وتكدر حاله.

**قال** الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وَرَاءَ مَضِيقِ الْخَوْفِ مُتَّسَعُ الْأَمْنِ |  | وَأَوَّلُ مَفْرُوحٍ بِهِ آخِرُ الْحُزْنِ |
| فَلَا تيئسنْ فَاللَّهُ مَلَّكَ يُوسُفَاً |  | خَزَائِنَهُ بَعْدَ الْخَلَاصِ مِنَ السِّجْنِ([[59]](#footnote-59)). |

عن عبيد الله بن سليمان قال: لي أبي: كنت يومًا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق، آيس ما كنت من الفرج، وأشد محنة وغمًا، حتى وردت علي رقعة أخي الحسن بن وهب، وفيها شعر له:

محنٌ أَبَا أَيُّوب أَنْت محلهَا ... فَإِذا جزعت من الخطوب فَمن لَهَا

إِن الَّذِي عقد الَّذِي انْعَقَدت بِهِ ... عُقد المكاره فِيك يحسن حلّهَا

فاصبر فَإِن الله يعقب فُرْجَة ... ولعلها أَن تنجلي ولعلّها

وَعَسَى تكون قريبَة من حَيْثُ لَا ... ترجو وتمحو عَن جديدك ذُلّها

قال: فتفاءلت بذلك، وقويت نفسي، فكتبت إليه:

صبّرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بل لَا أَقُول لَعَلَّهَا

ويحلّها من كَانَ صَاحب عقدهَا ... ثِقَةً بِهِ إِذْ كَانَ يملك حلّهَا

قال: فلم أصلِّ العتمة ذلك اليوم حتى أطلقت، فصليتها في داري، ولم يمض يومي ذاك، حتى فرج الله عني، وأطلقت من حبسي"([[60]](#footnote-60)).

**هـ-الفرج باجتماعه بأبيه وأهله:**

وبعد تلك المراحل التي كانت بين يدي الفرج الأخير التقى يوسف بأبيه وأمه وأهله في مصر وهو في عز الدنيا.

وفي تلك اللحظة التاريخية السعيدة **قال** تعالى ذاكراً ما حصل فيها: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ \* وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾**[يوسف:99-100]**.

فيا له" من مشهد! بعد كر الأعوام وانقضاء الأيام، وبعد اليأس والقنوط، وبعد الألم والضيق، وبعد الامتحان والابتلاء، وبعد الشوق المضني، والحزن الكامد واللهف الظامئ الشديد، يا له من مشهد ختامي بالانفعال والخفقات والفرح والدموع!

ويا له من مشهد ختامي موصول بمطلع القصة، ذلك في ضمير الغيب وهذا في واقع الحياة، ويوسف بين هذا كله يذكر الله ولا ينساه"([[61]](#footnote-61)).

وما أعظم قول يوسف عليه السلام في هذه النهاية السعيدة التي جاءت عقب شدائد ومحن مرت بها هذه الأسرة الكريمة: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾**[يوسف:100]**.

فأخبر أنه يلطف لما يريده، فيأتي به بطرق خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة، وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية، ومنه التلطف كما **قال** أهل الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾**[الكهف:19]**.فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه وإلقائه في السجن، وبيعه رقيقًا، ثم مراودة التي هو في بيتها عن نفسه، وكذبها عليه، وسجنه؛ محنًا ومصائب، وباطنها نعمًا وفتحًا جعلها الله سببًا لسعادته في الدنيا والآخرة.

ومن هذا الباب ما يبتلي به عباده من المصائب ويأمرهم به من المكاره، وينهاهم عنه من الشهوات هي طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل، وقد حُفّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، وقد **قال** صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن) ([[62]](#footnote-62)) فالقضاء كله خير لمن أُعطي الشكر والصبر جالبًا ما جلب"([[63]](#footnote-63)).

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾" إنما ذكر يوسف هذا القدر من أمر إخوته ليبين حسن موقع النعم؛ لأن النعمة إذا جاءت إثر شدة وبلاء، فهي أحسن موقعًا"([[64]](#footnote-64)).

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-اللجوء إلى الله تعالى بالاعتصام به أو دعائه من أسباب الفرج؛ فيوسف عليه السلام حينما دعته المرأة قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾**[يوسف:23]**.

**وقال** الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[يوسف:33-34]**.

2-قد يهيئ الله لك سبب فرج من حيث لا تتوقع: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

3-لقد ظل يوسف خلال الضراء والسراء على قمة خِلاله العذبة فلم يهبط عنها في الشدائد، ولم يجنح عنها أيام الرخاء، وهذه من الأمور النادرة في الشخصية الإنسانية بأن يبقى المرء على طراز واحد لا يتغير.

4- قَالَ إِسْحَاق العابد: "رُبمَا امتحن الله العَبْد، بمحنة يخلصه بهَا من الهلكة، فَتكون تِلْكَ المحنة، أجل نعْمَة"([[65]](#footnote-65)). وهذا تحقق في يوسف عليه السلام؛ فقد امتحن بالسجن فكان السجن سببًا لفرجه من جميع شدائده.

**الفرج بعد الشدة على إخوة يوسف ([[66]](#footnote-66)).**

جنى إخوة يوسف جناية عظيمة في إلقاء يوسف في الجب وإبعاده عن أبيه، غير آبهين بعقوق أبيهم وإدخال الحزن عليه، وقد أرادوا بما فعلوا إراحة أنفسهم المتخمة بحسد يوسف وكراهيته.

غير أنهم وإن كانوا قد ظفروا بطلبتهم، إلا أنهم لم يسلموا من ذوق مرارة الشدائد، ولقاء المكاره، فقد حصلت لهم من ذلك صور عدة بسبب ما جنوا وبغيره.

**أولاً: الشدة:**

1- الحاجة والفقر؛ فقد أصاب الناسَ في الشام ومصر جدبٌ بعد السنوات المخصبة؛ فقل الطعام، وعظمت الفاقة، ولم يكن هناك موئل للميرة إلا عند يوسف في مصر، فرحل إخوة يوسف من الشام إلى مصر وهم في حاجة شديدة للطعام.

وبعد أن جرى في قضية بنيامين ما جرى عادوا إلى يوسف مضطرين في ثوب الحاجة الشديدة التي لم يجدوا لقضائها لهم سواه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[يوسف:88].

"والمعنى: وقال إخوة يوسف له- بأدب واستعطاف، بعد أن دخلوا عليه للمرة الثالثة-:﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ أي: الملك صاحب الجاه والسلطان والسعة في الرزق ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا﴾ أي: أصابنا وأصاب أهلنا معنا الفقر والجدب والهزل من شدة الجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ أي: وجئنا معنا من بلادنا ببضاعة قليلة رديئة يردها وينصرف عنها كل من يراها من التجار؛ إهمالاً لها، واحتقاراً لشأنها. وإنما قالوا له ذلك: استدراراً لعطفه، وتحريكًا لمروءته وسخائه، قبل أن يخبروه بمطلبهم الذي حكاه القرآن في قوله: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا﴾ أي: هذا هو حالنا شرحناه لك، وهو يدعو إلى الشفقة والرحمة، ما دام أمرنا كذلك، فأتمم لنا كيلنا ولا تنقص منه شيئًا، وتصدق علينا فوق حقنا بما أنت أهل له من كرم ورحمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ على غيرهم جزاء كريمًا حسنًا"([[67]](#footnote-67)).

2- التهمة بالسرقة؛ عاد إخوة يوسف إليه ببنيامين وهم مسرورون بحسن العلاقة به عندما نفذوا له طلبه، وفي ذلك منفعة غذائية لهم.

لكن هذه الفرحة لم تلبث أن دهمتها شدة بددتها قبل مغادرة مصر، وهذه الشدة هي: اتهامهم بالسرقة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ \* قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ \* قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ \* قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ \* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ \* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[يوسف:70-75].

وهذه التهمة كان لها وقعها الشديد على نفوس أبناء يعقوب؛ لكونهم أبرياء مما رُموا به، بعيدين أن يفعلوا هذا الفعل الشنيع وهم من بيت نبوة وصلاح، ولأن هذا الفعل سيدني منزلتهم لدى العزيز الذي ما زالوا فرحين بمتانة علاقتهم به عما قريب، ولكون هذا الفعل سيحرمهم إحسان العزيز وكيله لهم مستقبلاً، ولا يستبعدون حصول العقوبة عليهم جراء ذلك؛ فلهذا اشتد عليهم الأمر أيما شدة.

3- حبس بنيامين عليهم؛ خف الأمر قليلاً عن إخوة يوسف بظهور براءتهم من تهمة السرقة، لكن وردت عليهم شدة أخرى وهي حبس بنيامين بالصواع الذي وجد في وعائه.

فماذا سيقولون لأبيهم إذا عادوا إليه بدون ابنه الحبيب بنيامين، وقد أخذ عليهم العهود والمواثيق على إرجاعه؟

فلهذا فكروا بالحال التي سيكونون عليها أمام أبيهم إذا عادوا إليه بهذا الخبر وهو مازال قلبه داميًا على فقد يوسف.

لذلك وقعوا في شدة عظيمة، ومما يدل على ذلك: أنهم راجعوا العزيز مراجعة مسترحم متذلل، ذاكرين له شيخوخة أبيهم وكبره، وذلك أدعى إلى الرحمة، وعرضوا عليه واحداً منهم بديلًا عن بنيامين، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:78].

لكن يوسف أبى ذلك قائلاً: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[يوسف:79].

فعند ذلك انقطع رجاؤهم من فكاك بنيامين بعد أن بلغوا درجة اليأس من تخليصه، وهذا يدل على إلحاحهم وعملهم على إطلاقه، ولكن بدون جدوى.

ولعظم الموقف الذي سيكون بين يدي أبيهم أبى أخوهم الكبير أن يرجع معهم إلى الشام حتى يحصل الفرج، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ [يوسف:80].

4- الذل بين يدي يوسف؛ لما عادوا إلى مصر بأمر أبيهم بالبحث عن يوسف وأخيه دخلوا على يوسف في ذل شديد، ومسكنة بادية على وجوههم وخطابهم، فاسترحموه واستدروا عطفه، ولكنهم فوجئوا بأمر عظيم زادهم ذلاً إلى ذلهم، وشدة إلى شدتهم؛ فإنهم لما قالوا له: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[يوسف:88]؛ قال لهم يوسف: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾[يوسف:89].

وهنا كادت الأرض أن تبتلعهم خجلاً وذلاً؛ فقد أدركوا أن هذا الذي يحسن إليهم طوال هذه المدة، وهو في عظمة هذا الجاه والسلطان والغنى؛ هو أخوهم يوسف الذي حسدوه وكرهوه أشد الكراهية، حتى فرقوا بينه وبين أبيه، وألقوه في البئر، وفعلوا به ما فعلوا من المكاره.

فقالوا متعجبين مستعظمين: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾[يوسف:90].

ولعل الهيبة والفزع قد تمكن من قلوبهم، فذهب تفكيرهم في العواقب- التي تنتظرهم- كل مذهب؛ إذ كانوا يستأهلون ذلك؛ لسوء صنيعهم به.

فقال يوسف راداً على سؤالهم: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:90].

فقالوا معتذرين والذل يتصبب في كلامهم منكِّسًا رؤوسهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[يوسف:91].

**ثانيًا: الفرج:**

تلك الشدائد التي مر بها إخوة يوسف تلاها فرج من الله تعالى:

1-فشدة الحاجة التي مستهم، وقلة الطعام التي ألمت بهم في سنوات الجدب فرجها الله عنهم بيوسف عليه السلام. فقد أحسن إليهم وأوقر رواحلهم طعامًا، ومعه دراهمهم التي أرادوا بها شراء ذلك الطعام، فرجعوا بذلك فرحين إلى أبيهم قد خفف عنهم شدة الحاجة وأنالهم من القوت ما يكفيهم مدة. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [يوسف:59]. وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [يوسف:65].

2-وأما شدة التهمة بالسرقة يوم سمعوا المنادي يقول: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:70] فقد فرج الله عنهم منها بوجود الصواع في وعاء بنيامين. قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف:76].

3-وأما شدة حبس بنيامين فقد فرج الله عنهم بتعرف يوسف إليهم وعفوه عنهم.

4-وأما شدة الذل بين يدي يوسف- بسبب الفقر والاحتياج إلى إطلاق أخيهم من عنده، وتذكير يوسف لهم بما فعلوه به-؛ فقد فرج الله عنهم منها بعفو يوسف عنهم، وطلب مجيئهم بأهلهم أجمعين من الشام إلى مصر.

قال تعالى: ﴿ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف:93].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-الشدائد أنواع منها شدائد حسية كالفاقة والجوع، ومنها شدائد نفسية كالذل والخزي.

2- ما أشد حال من يعتذر بين يدي من أحسن إليه؛ لإساءة ارتكبها في حقه قصداً وظلمًا!.

3-الرجل الكريم يأبى عفوه أن يعذب بالشدة من أساء إليه إذا جاء إليه نادمًا معتذرا.

4-تهمة البريء النقي شدة عظيمة، وأما من تدنس ثوبه بالمساوئ فإن التهمة ليس لها وقع كبير في نفسه.

**الفرج بعد الشدة على موسى عليه السلام**

لقد أطنب القرآن الكريم في الحديث عن موسى عليه السلام، وذكر من أخباره وقصصه ما لم يذكره عن نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقد اشتمل ذلك المحتوى الكريم على بعض الشدائد التي مر بها هذا النبي العظيم من ولادته حتى وفاته، وأعقب تلك الشدائد بيان فرج الله عنه، ولطف الله به في كل شدة.

**أولاً: الشدة:**

لقد مر موسى عليه السلام بفصلين من الشدائد:

**الفصل الأول: من الولادة حتى الخروج ببني إسرائيل من مصر:**

فكانت الشدائد على موسى في هذا الفصل على النحو الآتي:

1-ذبح فرعون لأبناء بني إسرائيل، مما اضطر أم موسى لإلقائه في اليم بإلهام من الله لها، فوقع موسى في تابوته في اليم وجرى به الماء حتى التقطه آل فرعون. واليم مكان مخوف لبعض الكبار فكيف حال الطفل الرضيع فيه!.

2-خوف موسى الشديد من عواقب قتله القبطي؛ لكون المقتول من قوم فرعون، قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:18].

ولم يكن خوف موسى إلا عن حقيقة أدركها بحسه الأحوذي بأن آل فرعون سيقتلونه لقتل صاحبهم؛ فلذلك جاءه الخبر عن تدبير مؤامرة فرعونية لقتله، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: 20].

3-الغربة عن الأهل والوطن؛ خوفًا من بطش فرعون، فمفارقة موسى لبلده وأهله والنعمة التي كان فيها شدة عظيمة، إضافة إلى كون خروجه سَفرة يخشى فيها مطاردة جند فرعون له لقتله أو أسره؛ فلذلك ظل الخوف مصاحبًا له حتى أمنه الله منه، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[القصص: 21].

4-جوعه الشديد، وجهده المضني، الذي لقيه في سفره حتى وصل مدين؛ فإن موسى عليه السلام خرج في هذه السفرة من غير استعداد لها؛ لأنه ليس هناك وقت لذلك تداركًا للوقت، وتفويتًا لفرصة العدو منه؛ فلذلك عظم جوعه وتعبه.

"قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر, وكان حافياً, فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه, وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه, وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع, وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه, وإنه لمحتاج إلى شق تمرة"([[68]](#footnote-68)).

قال تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[القصص:24].

أي" محتاج. وذُكِر أن نبيّ الله موسى عليه السلام قال هذا القول، وهو بجهد شديد، وعَرَّض ذلك للمرأتين تعريضًا لهما؛ لعلهما أن تُطعماه مما به من شدّة الجوع. وقيل: إن الخير الذي قال نبي الله:﴿ إِنِّي لِمَا أَنزلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ محتاج؛ إنَّمَا عنى به: شَبْعَة من طعام"([[69]](#footnote-69)).

5-خوفه الشديد الحاصل من تحول عصاه حية تسعى، وذلك حينما أمره الله تعالى بإلقائها أول مرة ليكون ذلك تدريبًا له قبل أن يكون ذلك بين يدي فرعون وسحرته، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[النمل:10]. يعني: "فلما رآها تهتز أي: تضطرب وتتحرك بسرعة شديدة حتى لكأنها ﴿ جَآنٌّ ﴾ في شدة حركتها وسرعة تقلبها ﴿ ولى مُدْبِراً ﴾ عنها من الخوف ﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ أي: ولم يرجع على عقبه. بل استمر في إدباره عنها دون أن يفكر في الرجوع إليها"([[70]](#footnote-70)).

6-خوفه من لقاء فرعون؛ فإن موسى لما أرسله الله تعالى نبيًا أمره أن يتوجه إلى دعوة فرعون فخاف موسى من لقاء فرعون لأربع:

أ-أن يقتلوه؛ لقتله القبطي.

قال تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾[الشعراء:14]، وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾[القصص:33].

ب-شدة طغيان فرعون أو أن يعاجله بالعقوبة.

قال تعالى: ﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾[طه:45].

ج-تكذيب فرعون وقومه له.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[الشعراء:12].

د-عدم قدرته على البيان له.

قال تعالى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾[القصص:34]، وقال: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾[الشعراء:13].

7-تكذيب فرعون له، وسخريته منه لعِيِّ لسانه وحقارته لديه، واتهامه له بالتهم الباطلة، وتهديده له.

فعن تكذيب فرعون لموسى قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر:37]، وقال: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ \* قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[الشعراء:30-31].

وعن سخرية فرعون من موسى قال الله تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[الزخرف:52].

وعن اتهامه له بالجنون قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[الشعراء:27].

وعن اتهامه له بالسحر: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[الشعراء:34].

وعن اتهامه له بالنية السيئة في دعوته قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[الأعراف:110]، وقال: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس:78].

وعن تهديده له: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾[الشعراء:29].

8-خوف موسى من قوة سحر السحرة حينما ألقوا حبالهم وعصيهم ، قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾[طه:66-67].

**الفصل الثاني: من خروج موسى ببني إسرائيل من البحر إلى موته عليه السلام:**

فكانت الشدائد على موسى في هذا الفصل على النحو الآتي:

1-عظم عناد بني إسرائيل وتعنتهم وضعف انقيادهم:

ومن الأمثلة القرآنية على ذلك:

أ-طلبهم عبادة الأصنام عقب إنجاء الله لهم من فرعون!

قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[الأعراف:138].

ب-طلبهم رؤية الله جهرة لتصديق موسى أن الكلام الذي سمعوه هو كلام الله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[البقرة:55].

ج-عبادة بعضهم العجل بإضلال السامري لهم.

قال تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴾[طه:86].... ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾[طه:88].... ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾[طه:91].

د-امتناعهم عن الالتزام بالعهد المؤكد الذي أعطوه بالعمل بأحكام التوراة حتى رفع الله فوق رؤوسهم جبل الطور تهديداً لهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:93]، وقال: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأعراف:171].

هـ-اتهامهم لموسى بجعلهم موضعًا للسخرية والاستخفاف حينما أمرهم بذبح البقرة فلم يستجيبوا إلا بعد جدال وعناد شديدين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[البقرة:67]، وقال: ﴿...قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[البقرة:71].

ز-عدم طاعة موسى حينما أمرهم بالدخول إلى بيت المقدس خاضعين سائلين الله المغفرة، وقد بدلوا ذلك قولاً وفعلاً؛ فدخلوا يزحفون بعد العصيان على مؤخراتهم وقالوا: حنطة بدل حطة، واستهزأوا بدين الله. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[البقرة:58-59].

ح-بطر النعمة والضجر منها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[البقرة:61].

ط-عدم طاعة موسى في قتال الجبارين جبنًا وهلعًا، فعوقبوا بالتيه في سيناء أربعين سنة.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[المائدة:26].

2-إيذاؤهم الشخصي لموسى عليه السلام.

فقد شكا موسى أذية قومه المكذبين والطاعنين فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾[الصف:5].

ونهى الله تعالى هذه الأمة أن تؤذي نبيها كما آذى قوم موسى موسى فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[الأحزاب:69].

وقد ذكر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أذى قوم موسى لموسى فأثنى عليه بالصبر وتسلى في أذاه بأذاه. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال: (فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)([[71]](#footnote-71)).

ومن صور إيذاء بني إسرائي الشخصي لموسى:

أ- رميهم له بأن فيه بَرَصًا أو أُدْرَةً.

ب- ادعاؤهم أنه قتل هارون!.

**ثانيًا: الفرج:**

**1-الفرج من شدائد الفصل الأول:**

أ-فرج الله موسى من هول النهر وخطره بالتقاط آل فرعون له، وفرج عنه ذبح فرعون بأن قذف في قلب امرأته محبته والشفقة عليه، فسبحان الله الذي حفظ موسى الرضيع في يد من أراد ذبحه، وجعله يربيه ويرعاه في بيته، ويطعمه من طعامه! قال تعالى: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ \* وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[القصص:8-9].

ب-وفرج الله عن موسى خوفه من عواقب قتل القبطي بأن سخر له رجلاً يخبره بإتمار الملأ به ونصحه بالخروج من مصر، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾[القصص:20].

وفرج الله عنه بعد ذلك الغم الذي يشغله من آثار قتله القبطي، قال تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾[طه:40].

ج-وفرج الله عن موسى جوعه وتعبه وآلام غربته وخوفه من تعقب آل فرعون له بأن سخر له أبا البنتين في مدين الذي آواه وأمنه وأزاح عنه ما يخشاه، قال تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ \* قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[القصص:25-27].

د-وفرج الله عن موسى خوفه الشديد من تحول عصاه حية بأن أمنه من ذلك حتى ذهب عنه الرَّوع، قال تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾[طه:21]، وقال: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾[القصص:31].

هـ-وفرج الله عن موسى خوفه من لقاء فرعون بأن أمنه من كل ما خافه في ذلك اللقاء، وأرسل معه هارون.

قال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[القصص:35]، وقال: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾[الشعراء:15]، وقال: ﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[طه:46].

ز-وفرج الله عن موسى خوفه من قوة سحر السحرة بأن أمنه من ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى \* وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾[طه:69].

ح-وفرج الله عن موسى خوفه من فرعون ومطاردته له بأن أهلك فرعون وجنوده في البحر، قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[طه:78].

**2-الفرج من شدائد الفصل الثاني:**

أ- فرج الله عن موسى من عناد بني إسرائيل بأن أعطاه قوة الصبر والجلَد، وهدى بعض بني إسرائيل من عنتهم، ثم جاءت الوفاة فكانت المخلص النهائي من أولئك المعاندين من قومه.

ب-وفرج الله عن موسى من أذى بني إسرائيل باتهامه بالبرص والأدرة بما أخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده؛ إما برص وإما أُدْرَةٌ([[72]](#footnote-72))، وإما آفة. وإن الله عز وجل أراد أن يبرئ موسى مما قالوا، فخلا يوماً وحده، فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً).

ج-وفرج الله عن موسى أذى قومه باتهامه بقتل أخيه هارون بأن أمر الله تعالى الملائكة فحملت هارون، حتى مرت به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بمماته، حتى تحققت بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرّأ الله موسى من ذلك([[73]](#footnote-73)).

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-لم تنقطع الشدائد عن موسى عليه السلام بهلاك فرعون وجنده، بل فتحت صفحة جديدة من الكربات سطرها أذى قومه وعنادهم، فالإنسان قد يسلم من شدة من قبل الأباعد لكنه قد لا يسلم من شدة يلقاها من الأقارب.

2- سبحان الله! المكان المخوف بحماية الله آمنُ مكانٍ وأمنعه من كل قلق، فبحماية الله وعينه ووعده صار اليم آمن من حضن الأم!!، ومن هذا على المسلم أن يكون على ثقة بما عند الله أكثر من ثقته بما عنده.

3- إذا نزلت بالمرء الشدائد فليثق بفرج الله وحسن تدبيره، ولينطق لسانه بجميل عاقبة تقديره، فما أكثر ما ينطق بعض الناس في بلواهم بالشر واليأس، فإذا فقدت شيئًا من دنياك فقل: عسى ربي أن يهديني إلى ما به عوضٌ عما فقدت. قال تعالى عن موسى: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[القصص:22].

4-من أسباب الفرج من الشدة في قصة موسى:

أ- الدعاء، قال تعالى:﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[القصص:21]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾[طه:25-36].

ب-سماع نصيحة الناصحين المخلصين، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ \* فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:20-21].

ج-الخروج من موضع الشدة إلى موضع الفرج، قال تعالى:: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[الشعراء:21].

د-الأخذ بالحذر في مكان الشدة، ففي زمن الخوف لابد من أخذ الحيطة والحذر مهما كان المرء قويًا قادرا. قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ القصص:18].

هـ-الصبر فيما ليس للمرء حيلة للخروج من شدته، كما صبر موسى مع شرار قومه من بني إسرائيل.

فكم فرجٍ لله يَأْتِي مرفرفًا ... على خافق الأحشاء فِي تلف مشفِ

فَلَا تمكننْ من طرفك الْيَأْس والأسى ... لعلّ الَّذِي ترجوه فِي مرجع الطّرفِ

وصبرًا جميلًا إنّ لله عَادَةً ... مجرّبة، إتباعه العسفَ باللّطف([[74]](#footnote-74)).

ز-الإحسان إلى الناس ابتغاء وجه الله؛ فإحسان موسى بسقي غنم المرأتين كان من أسباب نجاته من شدائده.

ح-الاستعانة بمن تخف به الشدة ويحصل به الفرج، فقد طلب موسى إرسال أخيه هارون معه فأعطاه الله طلبته.

5-الخوف الطبيعي في ألم الشدائد لا بأس به، لكن لا ينبغي أن يخرج عن حده المشروع إلى سوء الظن بالله والقنوط من فرجه.

6-أهمية تأمين الخائفين، وإزالة الروع عنهم، ولا يكتفى بالترجع وإبداء الحزن الذي قد يزيد الخائف خوفًا، فليكن المسلم مصدر تأمين وتفاءل لأخيه المسلم، وليكتم توجعه حتى لا يزيد الوجع وجعا. قال تعالى: ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ﴾[طه:68].

7-قد يهيئ الله للمؤمن في الشدة من يزيلها عنه دون أن يفكر بزوالها على يديه، فقد جعل الله لموسى امرأةَ أعظمِ أعدائه سببَ نجاته.

8-لقد من الله تعالى على موسى بالفرج من الشدائد، وإعطائه النعم، فذكّره بذلك حتى يزداد له شكرا، وعلى دعوته ثباتًا وصبرا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى \* أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى \* وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[طه:37-41].

**الفرج بعد الشدة على أم موسى رحمها الله**

في تلك السنة التي كان جنود فرعون تمر شفراتهم على بيوت بني إسرائيل لذبح كل مولود ولد فيها ذلك العام؛ ولد موسى بن عمران عليه السلام فارتاعت أمه وعظم خوفها على وليدها، فألهما الله تعالى إلقاءه في اليم ثم رده إليها بعد ذلك.

فحصل لها شدة عظيمة أذهبها الله عنها بفرج عظيم.

**أولاً: الشدة:**

وقد تمثلت تلك الشدة في:

1-خوف أم موسى على موسى من القتل،؛ فإنها تدرك أن قرار فرعون هذا لا يرده أحد من الناس، فكيف يمكنها أن تهدأ وفلذة كبدها ستمر على رقبته المدية فتطفئ تلك النسمة الطيبة، وتشعل في قلبها جذوة الفجيعة والحزن الطويل، كيف لقلبها الرؤوف أن يهدأ على موساها" والخطر محدق به، والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه.. وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين. ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة.. ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة"([[75]](#footnote-75)).

2-إلقاء موسى في اليم، وأمه الحنون لا تدري أين سيذهب به الماء؛ فهل سيبتلعه قعره، أو سيفترسه حيوان، أو يصل إلى بشر يمد إليه يده بسوء، أو سيصل إلى أيدي جلاوزة فرعون، ولو وصل إلى يد بشرية رحيمة كيف ستستطيع أن تحميه من مدية فرعون، أو يسلم من أذيته؟! إنها مآلات حزينة ربما كانت تفكر بها تلك الأم الثكلى.

لكن الله حينما ألهمها قذفه في اليم كان قد وعدها برده إليها، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[القصص:7].

3-شدة الانتظار لرجوعه، والبحث عن مصيره في تلك الظروف القاسية المخوفة.

4-انشغال قلبها به، فلقد أصبح فؤادها خاليًا من كل شيء في الدنيا إلا من همِّ موسى وذِكره.

قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[القصص:10].

5-ألم فراق رضيعها، ولاشك أن فراق الأم لولدها أول ولادتها به يكون شديداً.

**ثانيًا: الفرج:**

لم تلبث أم موسى إلا مدة حتى فرج الله عنها كربتها ورد إليها رضيعها، وقد تم هذا الفرج عبر الآتي:

1- كان من لطف الله أن يصل تابوت موسى إلى فرعون دون غيره؛ فإنه لو وصل إلى غيره من رعيته فلن يستطيع حمايته، بل سيدعه أو يتخلص منه بأي وسيلة، غير أن الله أراد أن يربي موسى في قصر فرعون وينشئ طفولته في حماية من أراد التخلص منه؛ ليعلمه أن الله ربه تعالى على كل شيء قدير.

2-ألقى الله تعالى الرحمة بموسى في قلب آسية امرأة فرعون فحرصت على حياته حرصًا شديداً، ومنعت من قتله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[القصص:9].

وقد جعل الله تعالى لموسى محبة في القلوب ومنها قلبا فرعون وزوجته، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[طه:39]، أي: " فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنته وغذته وربته، وإلى فرعون، حتى كف عنه عاديته وشره..."([[76]](#footnote-76)).

3-أرسلت أم موسى أخته للبحث عنه ومعرفة مصيره، حتى ظفرت بمكانه وعرفته.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾[القصص:11].

4-كان من لطف الله أيضًا أن منع موسى أن يرضع ثَدْياً غَيْرَ ثدي أمه، فبقي آل فرعون يبحثون عمن يرضعه فأدركت أخته ذلك فعرضت عليهم الدلالة على من يرضعه ويحسن إليه فقبلوا ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾[القصص:12].

5-رجوعه إلى أمه وقبوله ثديها، وإرضاعها له بأمان على حياته، وقد عاد إلى أمه، كما وعدها الله تعالى، غير أنه عاد وهو في حماية الملك، وأجرة منه على إرضاعه!

قال تعالى: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص:13].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1- في هذا الموقف الرهيب الذي تفكر فيه الأم الخائفة: ماذا تصنع برضيعها لتأمن على حياته يحضرها إلهام الله ويقينها التام به وتوكلها الكامل عليه، فها هي ذي تعمل ما تستطيع من أسباب الحفظ والبقاء؛ من الإرضاع واستعمال التابوت لحفظ موسى من الغرق وإصابة الماء، حتى يسير إلى الغاية التي يريدها الله. فسبحان الله كيف صار حضن الأمان مكان خوف، وكيف غدا يمُّ الخوف هو مكانَ الأمان الوحيد!

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونُها\*\* وحَباكَها من فضلهِ الرحمنُ

ناداك طائرُ يُمنها وسعودها\*\* نمْ فالمخاوف كلُّهنَّ أمانُ

وقال آخر:

عَسى فرجٌ من حَيْثُ جَاءَت مكارهي ... يَجِيء بِهِ من جَاءَنِي بالمكارهِ

عَسى منقذٌ مُوسَى بِحسن اقتداره ... وَقد طرحته أمّه فِي بحارهِ

سيرتاح لي ممّا أعاني بفرجةٍ ... فينتاشني مِنْهَا بِحسن اخْتِيَارهِ

2- لا يحمل على فعل أم موسى إلا الإيمانُ القوي، فلولا إيمانها وثقتها لما فعلت؛ ولذلك لا يقبل على الأعمال العظيمة التي وعد الله عليها العواقب الحميدة إلا ذوو قوة الثقة والإيمان؛ كأم إسماعيل حيث قالت حينما وضعها إبراهيم وطفلَها في واد غير زرع:( يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يتلفت إليها فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا)([[77]](#footnote-77)).

3- الإنسان ضعيف مهما تصبر وتجلّد؛ لهذا عليه أن يلجأ إلى ربه في طلب الإعانة على الصبر، فأم موسى لولا أن ربط الله على قلبها لأخبرت أن موسى ابنها فتحصل حينها الكارثة.

4- التوكل على الله والثقة به يحتاج إلى عمل الأسباب الممكنة؛ فأم موسى لم تبق منتظرة تحققَ الوعد برد ابنها، ولكنها بعثت أخته للبحث عنه بين أشداق المخاوف.

5- علّق قلبك بالله وكن به مؤمنًا موقنًا وسيدبر لك أمورك فوق ما تتوقع لتكون خيراً لك، فاختياره لك خير من اختيارك لنفسك؛ فأم موسى ما كان يدور في خلدها إلا سلامة ابنها ورده إليها، وما كانت تعرف أن الله سيمنع ولدها أن يرضع من كل امرأة حتى يرجع فيرضع منها، وأنها ستنال بإرضاعه الكرامة والخير الكثير، فبدل ما كانت سترضعه مجانًا خائفة أصبحت ترضعه آمنة، وبأجر، فسبحان المدبِّر الحكيم!

6- اطمئن إلى وعد الله، واعمل ما تستطيع من الأسباب حتى تدركه، ولا تيأس من تأخره؛ فإنه سيأتي ولو بعد حين.

7- الله تعالى يحب لعبده المؤمن السرور ولا يحب له الحزن، ولو قدر عليه ضيقًا يسيراً فهو باب إلى سرور كبير؛ فلعل سرور أم موسى بعد ذلك الحزن والهم أعظم من سرورها لو بقي موسى معها قبل ذلك على تلك الحال.

**الفرج بعد الشدة على بني إسرائيل**

بنو إسرائيل أمة من الأمم التي مرت عليها رياح الزمان عاصفها ورخاؤها، فذاقت مرارة الشدة، وحلاوة الفرج، وهي أمة ممتدة الزمن ذكر القرآن بعض قصصها من عهد أبيهم يعقوب إلى عهد عيسى عليهما السلام، وسنقف مع بعض صور الشدة والفرج التي حصلت لهذه الأمة.

**أولاً: الشدة:**

1-تسلط فرعون وظلمه لهم؛ فقد استبد فرعون في حكم بني إسرائيل فسلط عليهم سيف بغيه فقهرهم واستضعفهم وأذلهم وقتل أبناءهم واستبقى بناتهم لخدمته وقومه القبط، وفعل بهم غير ذلك من صنوف الهوان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص:4].

قال ابن كثير: " وقوله تعالى: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مّنْهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل, وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم, هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العتيد يستعملهم في أخس الأعمال, ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته, ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم؛ إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه أن يوجد منهم غلام, يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه"([[78]](#footnote-78)).

2-غلبة أعدائهم لهم بعد موسى، حيث قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم بلاداً كثيرة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[البقرة:246].

وقد قيل: " كان بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان، ثم أحدثوا الأحداث، وعبد بعضهم الأصنام، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويقيمهم على منهج التوراة، إلى أن فعلوا ما فعلوا، فسلط الله عليهم أعداءهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وأسروا خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم بلاداً كثيرة.

ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه، وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان، وكان ذلك موروثاً لخلفهم عن سلفهم إلى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام، فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب، وأخذوا التوراة من أيديهم، ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل، وانقطعت النبوة من أسباطهم"([[79]](#footnote-79)).

3-تسليط الله عليهم أعداء ذوي شجاعة وقوة شديدة، غلبوهم وقتلوا منهم وشردوهم، وطافوا بين ديارهم مفسدين.

قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا \*

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴾[الإسراء:4-5].

قال ابن كثير: " وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أرَ تطويل الكتاب بذكرها, لأن منها ما هو موضوع ومن وضع بعض زنادقتهم, ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً, ونحن في غنية عنها, ولله الحمد. وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله, ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم. وقد أخبره الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم, وسلك خلال بيوتهم, وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقاً, وما ربك بظلام للعبيد؛ فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء"([[80]](#footnote-80)).

**ثانيًا: الفرج:**

1-فرج الله تعالى عن بني إسرائيل الذين كانوا في عهد موسى بن عمران بإرسال موسى الذي جعله الله سببًا لخلاص بني إسرائيل من جبروت فرعون وملئه.

فأهلك الله فرعون وجنده في البحر، وأورث بني إسرائيل أرض مصر والشام، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[القصص:5-6]، وقال: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ \* قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ \* وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ \* فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ \* وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ \* فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ \* وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ \* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ \* فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ \* وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[الأعراف:128-137].

2-وفرج الله تعالى عن بني إسرائيل الذين كان عدوهم جالوت وجنده بأن بعث لهم طالوت ملكًا عليهم فوحد صفوفهم ونفث في قلوبهم الشجاعة فقاتل بمؤمنيهم جالوت ومن معه فهزموهم بإذن الله.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة:247]... ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[البقرة:250-251].

3-وفرج الله عن بني إسرائيل من قهر أعدائهم الذين جاسوا خلال ديارهم مفسدين بأن نصرهم الله عليهم وأكثر أرزاقهم وأولادهم، وقَوَّاهم وجعلهم أكثر عددًا من عدوهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾[الإسراء:6].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1- لقد عظمت الشدة على بني إسرائيل وبلغت مداها يوم خرجوا هاربين من فرعون فصار البحر أمامهم والعدو خلْفهم فعند ذلك أيقنوا بالهلاك، لكن موسى عليه السلام كان ذا ثقة عظيمة بربه فلذلك لما بلغ الكرب هذا المدى عظم يقينه بقرب الفرج. فكانت الآية العظيمة بانفلاق البحر ليكون طريقًا لموسى وقومه وقبراً لفرعون وجنده:

قال تعالى: ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ \* فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ \*

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ \* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ \* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ \* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء:60-67].

2-الأيام دول، فضعيف اليوم قوي الغد، وقوي اليوم ضعيف الغد، فلا يدوم ظلم الظالم ولا يستمر قهر المظلوم.

3-المعاصي سبب الشدائد، والطاعات سبب الفرج.

4- لقد كانت المنة على بني إسرائيل بالنجاة من بطش فرعون وشدته عليهم منة عظيمة؛ فلذلك يذكّر الله خَلَفهم في القرآن كثيراً بتلك المنة حتى يؤمنوا ويطيعوا.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[البقرة:49].

وقال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى \* كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾[طه:80-81].

5-من أسباب الخروج من الشدائد في هذه القصة:

أ-الاستعانة بالله على الفرج والصبر على الشدة، قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الأعراف:128].

ب-العمل بأسباب الفرج؛ كإعداد العدة للخروج من الشدة، كما فعل طالوت.

ج-الدعاء والصبر، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:250].

د-الدعاء والتوكل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ \* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[يونس:84-86].

6-كم الفرق بين اليائسين والواثقين: بنو إسرائيل في ظلام الشدة يزدادون ألمًا إلى ألم، وموسى يزداد فيها أملاً على أمل: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف:129].

وكم الفرق أيضًا بين طالوت وثلته المؤمنة الواثقة بنصر الله، وتلك الفئة القانطة التي رهبت جالوت وجنده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:249].

**الفرج بعد الشدة على أيوب عليه السلام**

تعددت الشدائد التي لقيها الأنبياء عليهم السلام الذين ذكرهم القرآن الكريم وبعضها متفقة كشدة تكذيب أقوامهم وتهديدهم لهم، لكن نبيًا من الأنبياء ذكر الله عنه شدائد لم يذكرها عن سواه من الأنبياء، وهي المرض وفقد الأهل، وهذا النبي هو أيوب عليه السلام، وقد بقي على تلك الشدائد مدة ثم فرج الله عنه بنزول العافية.

**أولاً: الشدة:**

طفحت بعض كتب التفسير وكتب القصص بذكر أخبار إسرائيلية عن مرض أيوب عليه السلام، وفيها من المبالغات والمخالفات الشيء الكثير، "وقد دل كتاب الله الصادق على لسان نبيه محمد الصادق على أن الله تبارك وتعالى ابتلى نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام في جسده وأهله وماله ، وأنه صبر حتى صار مضرب الأمثال في ذلك ، وقد أثنى الله عليه هذا الثناء المستطاب ، قال عز شأنه : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب﴾ ، فالبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أبدًا ، والواجب على المسلم أن يقف عند كتاب الله ، ولا يتزيد في القصة كما تزيد زنادقة أهل الكتاب... والذي يجب أن نعتقده: أنه ابتلي، ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من أنه أصيب بالجذام، وأن جسمه أصبح قرحة، وأنه أُلقِيَ على كناسة بني إسرائيل يرعى في جسده الدود ، وتعبث بن دواب بني إسرائيل ، أو أنه أصيب بمرض الجدري. وأيوب عليه صلوات الله وسلامه أكرم على الله من أن يلقى على مزبلة، وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته ، ويقززهم منه"([[81]](#footnote-81)).

و"قال ابن العربي القاضي أبو بكر: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين، الأولى قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[الأنبياء:83]،والثانية في: ص:﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[ص:41]. وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله:( بينا أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب..) الحديث. وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، وأصمم عن سماعها أذنيك؛ فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالا، ولا تزيد فؤادك إلا خبالا([[82]](#footnote-82)).

وقد تحدث الله تعالى عن مرض أيوب عليه السلام في سورتي الأنبياء وص، ويظهر من جو الآيات أنه كان مرضًا شديداً، فكان موقف هذا النبي الكريم مع مرضه الصبر الجميل، حتى ضرب به المثل في الصبر، وقد استمر به مرضه ثماني عشرة سنة([[83]](#footnote-83)).

قال الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[الأنبياء:83].

"أي: اذكر أيوب وما أصابه من البلاء ودعاءه ربه في كشف ما نزل به، واستجابته تعالى دعاءه وما امتن به عليه في رفع البلاء، وما ضاعف له بعد صبره من النعماء، لتعلم أن النصر مع الصبر، وأن عاقبة العسر اليسر. وأن لك الأسوة بمثل هذا النبيّ الصبور، فيما ينزل أحيانا بك من ضرّ، وأن البلاء لم ينج منه الأنبياء، بل هم أشد الناس ابتلاء. كما في الحديث: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل)، وإن من أسباب الفرج دعاءه تعالى والابتهال إليه والتضرع له، وذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العليا. وإن البلاء لا يدل على الهوان والشقاء؛ فإن السعادة والشقاء في هذا العالم لا يترتبان على صالح الأعمال وسيئها؛ لأن الدنيا ليست دار جزاء، وأن عاقبة الصدق في الصبر هي توفية الأجر ومضاعفة البر"([[84]](#footnote-84)).

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[ص:41].

ما صدر من قول أيوب في هذه الآية والآية السابقة إنما هو دعاء وإظهار فقر وحاجة إلى ربه، لا شكوى فيه ولا جزع، قال القرطبي: " قال العلماء: ولم يكن قوله: ﴿مسني الضر﴾ جزعاً؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ بل كان ذلك دعاء منه. والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله تعالى، والدعاء لا ينافي الرضا. قال الثعلبي: سمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول: حضرت مجلساً غاصًا بالفقهاء والأدباء في دار السلطان فسئلت عن هذه الآية الكريمة بعد اجتماعهم على أن قول أيوب كان شكاية وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ فقلت: ليس هذا شكاية، وإنما كان دعاء، بيانه: ﴿فاستجبنا له﴾ والإجابة تتعقب الدعاء لا الاشتكاء. فاستحسنوه وارتضوه. وسئل الجنيد عن هذه الآية الكريمة فقال: عرّفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال. انتهى منه"([[85]](#footnote-85)).

وقال الشنقيطي: " ودعاء أيوب المذكور ذكره الله في سورة الأنبياء من غير أن يسند مس الضر أيوب إلى الشيطان في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[الأنبياء:83]، وذكره في سورة ص وأسند ذلك إلى الشيطان في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[ص:41]، والنصب على جميع القراءات معناه: التعب والمشقة، والعذاب: الألم. وفي نسبة ما أصابه من المشقة والألم إلى الشيطان في سورة «ص» هذه إشكال قوي معروف؛ لأن الله ذكر في آيات من كتابه أن الشيطان ليس له سلطان على مثل أيوب من الأنبياء الكرام، كقوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[النحل:99-100]. وغاية ما دل عليه القرآن أن الله ابتلى نبيه أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كل ضر، ووهبه أهله ومثلهم معهم، وأن أيوب نسب ذلك في «ص» إلى الشيطان. ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العافية الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله تعالى. وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب؛ لأن التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض، وذلك يقع للأنبياء؛ فإنهم يصيبهم المرض، وموت الأهل، وهلاك المال لأسباب متنوعة. ولا مانع من أن يكون جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء"([[86]](#footnote-86)).

وقال ابن عاشور: " ... والوجه عندي: أن تحمل الباء على معنى السببية بجعل النصب والعذاب مسببين لمس الشيطان إياه، أي: مسني بوسواس سببه نصب وعذاب، فجعل الشيطان يوسوس إلى أيوب بتعظيم النصب والعذاب عنده ويلقي إليه أنه لم يكن مستحقًا لذلك العذاب ليلقي في نفس أيوب سوء الظن بالله أو السخط من ذلك. أو تحمل الباء على المصاحبة، أي: مسني بوسوسة مصاحبة لضر وعذاب، ففي قول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ كناية لطيفة عن طلب لطف الله به ورفع النصب والعذاب عنه بأنهما صارا مدخلاً للشيطان إلى نفسه فطلب العصمة من ذلك على نحو قول يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[يوسف:33]" ([[87]](#footnote-87)).

وقال ابن عجيبة: " وإسناده إلى الشيطان على طريق الأدب في إسناد ما كان فيه كمال إلى الله تعالى، وما كان فيه نقص إلى الشيطان أو غيره، كقول الخليل: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[الشعراء:80]، ولم يقل: أمرضني. وكقول يوشع عليه السلام: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾[الكهف:63]، وفي الحقيقة: كلٌّ من عند الله. وقيل: أراد ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء، ويغريه على الكراهة والجزع، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء، أو بدفعه وردّه بالصبر الجميل"([[88]](#footnote-88)).

**ثانيًا: الفرج:**

وبعد تلك المدة التي عاشها أيوب عليه السلام مع مرارة الألم وفقدان الأولاد والمال جاءه فرج الله بالشفاء التام، ورزقه بأولاد ضعف ما كان له، وأما المال الذي رزقه فقد أخبر عن بعضه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ)([[89]](#footnote-89)).

فذهب العسر عن أيوب وجاءه اليسر:

قال الشاعر:

**عَسَى مَا** تَرَى أَنْ لَا يَدُومَ وَأَنْ تَرَى ... لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

إِذَا لَاحَ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ ... قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ الْيَسَرُ([[90]](#footnote-90)).

وعن الفرج عن أيوب عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾[الأنبياء:84].

فلما دعا أيوب استجاب الله له دعوته فكشف ضره في نفسه، ورزقه الولد الذي فقد، وكان ذلك رحمة من الله به؛ لأنه قد استرحمه بقوله: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ قال البيضاوي: " رحمة على أيوب، وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما أثيب، أو لرحمتنا للعابدين فإنا نذكرهم بالإِحسان ولا ننساهم"([[91]](#footnote-91)).

وقال الطبري: "وقوله:﴿ وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ يقول: وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به ، ويعلموا أن الله قد يبتلي أولياءه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله من غير هوان به عليه، ولكن اختباراً منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده"([[92]](#footnote-92)).

وآية الفرج عن أيوب في سورة الأنبياء مجملة في كيفية الفرج لكن بينتها آية سورة ص، قال تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[ص:42-43].

فقد أمر الله تعالى أيوب عليه السلام أن يضرب برجله الأرض فضرب فنبع ماء جعله الله سببًا لشفائه فاغتسل منه ليذهب ألمه الظاهر، وشرب منه ليزول به سقمه الباطن، ثم من الله عليه بعد ذلك بالأولاد الكثيرين عوضًا عمن فقد.

وبهذا زالت الشدة عن أيوب عليه السلام، وأعطاه الله خيراً مما سلب، وأجاب دعوته في تلك الكرب في نفسه وأهله وماله:

قال محمد بن عامر البلخي:

يَا فارِجَ الهمِّ عنْ نُوحٍ وأسرتِهِ ... وصاحبَ الحوتِ مولى كلِّ مكروبِ

وفالِقَ البَحر عن موسى وشيعَتِهِ ... ومُذهِبَ الحزن عن ذي البثِّ يعقوبِ

وجاعلَ النارِ لابراهيمَ بارِدَةً ... ورافِعَ السقمِ عن أوصالِ أيوبِ

إن الأطبّاء لا يُغُنونَ عن وصَبٍ ... أنتَ الرحيم رحيمٌ غيرُ مغلوبِ([[93]](#footnote-93)).

**ثالثًا: العظات والعبر:**

1-تأمل في أدب نبي الله أيوب عليه السلام في هذا البلاء الشديد الذي كان فيه على قمة الصبر والأدب مع ربه تعالى:

أولاً: قوله: ﴿ مسني﴾: فـ"المس: الإصابة الخفيفة. والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حل به من الضر كالمس الخفيف"([[94]](#footnote-94)).

ثانيًا: قوله: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فقد " تلطف في السؤال حيث ذكر نفسَه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة، ولم يصرح بالمطلوب من كمال أدبه، فكأنه قال: أنت أهل أن تَرحم، وأيوب أهل أن يُرحَم، فارحمه، واكشف عنه ضره الذي مسه"([[95]](#footnote-95)).

وفي هذا تعريض" بطلب كشف الضر عنه بدون سؤال فجعل وصف نفسه بما يقتضي الرحمة له، ووصف ربه بالأرحمية تعريضا بسؤاله، كما قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه عن تعرضه الثناء"([[96]](#footnote-96)).

ثالثًا: حسن استعماله من صفات الله ووسائل الإجابة ما يناسب حاله، قال ابن القيم: " جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجود طعم المحبة في المتملق له والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وهو فقره ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه. وقد جُرب أنه من قالها سبع مرات ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره"([[97]](#footnote-97)).

2-قد يبتلي الله بعض عباده المؤمنين ببلية فيعوضه بعد انقضائها خيراً مما فقد.

3-في قصص المبتلَين الصابرين عبرة للناس ليقتدوا بهم في صبرهم، فلكل مبتلى بمرض أو فقد مال أو ولد أو غيرها عبرة بأيوب عليه السلام.

4-الدعاء من أسباب رفع البلاء، فليستمر المبتلى على الدعاء وإن تأخر الفرج؛ فرب بلاء يحتاج من الدعاء مدة يوم وبعضه مدة شهر، وسنة أو سنوات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)([[98]](#footnote-98)).

5- يأمر الله عباده بأخذ الأسباب، ومنها أسباب كشف الكربة، فقد أمر الله أيوب أن يركض برجله الأرض كما أمر مريم أن تهز جذع النخلة، والله سبحانه قادر على شفاء أيوب بدون ضرب الأرض برجله، ورزق مريم من غير هز جذع النخلة بيدها.

6-الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، إنما الذي ينافيه الشكوى إلى الخلق، قال ابن القيم: " والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر؛ فإن يعقوب - عليه السلام - وعد بالصبر الجميل، والنبي إذا وعد لا يخلف، ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف:86]، وكذلك أيوب أخبر الله عنه أنه وجده صابرًا مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[الأنبياء:83]، وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟! ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أعلم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم([[99]](#footnote-99)).

7-ما أجمل هذا الوصف الكريم الذي كان نتيجة البلاء العظيم:﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب﴾ فنال به أيوب المنازل العالية عند الله وعند عباده الصالحين.

8- ليكن المريض المؤمن على ثقة كبيرة بالله تعالى في شفائه مع استعانته على ذلك بكثرة دعائه وتضرعه والتجائه كما فعل أيوب عليه السلام.

قال الشاعر:

إن رمتنا يد الخطوب بقوسٍ ... طالما كان سهمها لا يصيبُ

أو يكن عثّر الزمان فمرجوٌّ ... لإنعاشنا القريب المجيبُ

قد أجاب الإلهُ دعوة نوحٍ ... حين نادى بأنه مغلوبُ

وشفى ذو الجلال علّة أيّو ... ب وقد شارف الردى أيوبُ

وانقضى سجن يوسفٍ وقد استيـ ... أس وارتدّ مبصراً يعقوبُ([[100]](#footnote-100)).

**الفرج بعد الشدة على يونس عليه السلام**

أرسل الله نبيه يونس عليه السلام إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الإيمان بالله فلم يستجيبوا له، فخرج مغاضبًا لهم فركب البحر ثم ألقي فيه من على السفينة فالتقمه الحوت، ثم رجع إلى قومه بعد ذلك.

وقد مر هذا النبي الكريم بصور من الشدة، حتى فرج الله عنه منها بعد ذلك.

**أولاً: الشدة:**

1-تكذيب قومه وعدم استجابتهم، فقد بذل يونس وسعه في دعوتهم إلى الحق، ولكنهم لم يسارعوا إلى قبولها، فتضجر منهم وواعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام، ثم خرج عنهم مغاضبًا لهم دون انتظار إذن الله له بذلك، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء:87]. "والمعنى: واذكر ذا النون وهو يونس عليه السلام، والنون هو الحوت، نسب إليه لأنه التقمه حين خرج عن قومه مغاضبًا لهم؛ إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، فظن أن لن يضيق الله عليه بعقوبة على هذا الفعل"([[101]](#footnote-101)).

2-هيجان البحر ورعبه والإلقاء فيه، فقد خرج يونس عليه السلام عن قومه فركب سفينة في البحر مملوءة بالراكبين فاضطربت وماجت بهم وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه. فلما اقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام، لأمر يريده الله، فألقى نفسه في البحر. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ \* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾[الصافات:139-141].

وهذا الموقف موقف شديد؛ فرؤية البحر تتقلب فيه الأمواج الهائجة، ويصبح المركب فيه كقشة تقلبها تلك الأمواج كما تشاء؛ مما يرعب النفس البشرية، ثم التخفف من حمل تلك السفينة بإلقاء بعض راكبيها شدة أخرى، ثم أن تقع القرعة على يونس فهي ثالثة الأثافي في ذلك الجو المعكر بالشدائد.

3-التقام الحوت له، فلما وصل يونس متن البحر بعث الله عز وجل حوتًا عظيماً فالتقمه، وأمر الله تعالى الحوت أن لا يأكل له لحماً ولا يهشم له عظماً. فقضى يونس في بطنه وقتًا يعلمه الله تعالى، وغدا في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت. قال تعالى: ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾[الصافات:142].

وفي تلك الظلمات صار يونس عليه السلام في غم وكرب شديدين، فما بينه وبين الموت إلا أنفاس تذهب في لحظات يسيرة، قال الله عن هذه الحال: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[القلم:48]، وقال: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء:88].

4-آثار بطن الحوت على بدن يونس؛ فإنه قد خرج من بطن الحوت سقيماً عليلاً كهيئة الصبي حين يولد، خائر القوى مما أصابه من ذلك المحبس، قال تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾[الصافات:145].

**ثانيًا: الفرج:**

وبعد تلك الكرب الشديدة التي لقيها يونس عليه السلام أشرق عليه فرج الله تعالى في ظلماته الثلاث بتلك الدعوة التي فتحت مغالق الشدة، فخرج من بطن الحوت إلى الفرج الكبير.

1-النجاة من بطن الحوت، لما وصل يونس عليه السلام إلى بطن الحوت وصار في ذلك الغم الشديد تذكر خطأه فنادى ربه تعالى وتضرع إليه، حتى استجاب الله له فأُخرج من بطن الحوت إلى العراء حيًا، وهي آية عظيمة من آيات الله حفظ بها يونس للحياة في موضع الموت، قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء:87-88]، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ \* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾[الصافات:143-145].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ \* لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ \* فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[القلم:48-50].

والمعنى: "لولا توبته وضراعته إلى الله وإنعام الله عليه نعمة بعد نعمة لقذفه الحوت من بطنه ميتًا فأخرجه الموج إلى الشاطئ فلكان مثلة للناظرين أو حيًا منبوذاً بالعراء لا يجد إسعافاً، أو لنجى بعد لأيٍ والله غاضب عليه فهو مذموم عند الله مسخوط عليه. وهي نعم كثيرة عليه إذ أنقذه من هذه الورطات كلها إنقاذاً خارقاً للعادة"([[102]](#footnote-102)).

2-إنبات شجرة اليقطين عليه، وهذا فرج من شدة سقمه بعد خروجه من بطن الحوت، قال تعالى: ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾[الصافات:146].

فقد أكرم الله تعالى يونس عليه السلام عند إلقاء الحوت له إلى البر بشجرة اليقطين التي هي الدباء؛ لتكون سببًا لصحة بدنه وحمايته مما يضره. وقد اختيرت هذه الشجرة دون غيرها لأسباب؛ فقد أنبتها الله "فوقه لتظله وتقيه حر الشمس، وإنما خصه الله به لأنه-يعني الدباء- يجمع برد الظل، ولين اللمس، وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربه؛ فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب"([[103]](#footnote-103))، ولأنه" أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً، وأن ورقه باطنها رطبة"([[104]](#footnote-104))، وقال ابن كثير: "وذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليلُ ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربه الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضًا. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحِبّ الدُّبَّاء، ويتتبعه من حَوَاشي الصَّحْفة"([[105]](#footnote-105)).

3-إيمان قومه، وهذا فرج من شدة تكذيبهم له، فإنه لما فارقهم، وتحققوا نزول العذاب الذي توعدهم به؛ قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم من تفريط وتكذيب، فعجوا إلى الله عز وجل، وصرخوا وتضرعوا إليه، وتمسكنوا بين يديه، وبكى الرجال والنساء والأطفال. فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذى كان قد اتصل بهم سببُه، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم. فرجع يونس إليهم وكانوا مائة ألف أو يزيدون على ذلك، فآمنوا فمتعهم الله بالحياة إلى آجالهم المحتومة.

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-الدعاء والتضرع بين يدي الله تعالى من أعظم الوسائل لكشف الشدة وتحصيل الفرج، ولذلك قال يونس عليه السلام: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:87]. قال بعض العلماء: " فإن قيل: هذا ذكر لا دعاء؟ قلنا: هو ذكر يفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء"([[106]](#footnote-106)).

وعلى كل فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمية قول يونس دعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين}، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له)([[107]](#footnote-107)).

قال ابن القيم: " وأما دعوة ذي النون: فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله- سبحانه- في قضاء الحوائج؛ فإن التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله، وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه. والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته، وافتقاره إلى ربه، فها هنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية والاعتراف"([[108]](#footnote-108)).

وقال **الْحسن الْبَصْرِيّ: عجبًا لمكروب غفل عَن خمس، وَقد عرف مَا جعل الله لمن قالهن:**

**- قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [الْبَقَرَة: 155-157] .**

**-وَقَوله تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ \* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمرَان: 173-174] .**

**-وَقَوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ \* فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غَافِر: 44-45] .**

**-وَقَوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الْأَنْبِيَاء: 87-88] .**

**-وَقَوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \* فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمرَان: 147-148]"([[109]](#footnote-109)).**

فما أحسن أن يكون دعاء يونس من أدعية المسلم في شدائده، وقد جاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أدعية أخرى تقال في الكرب والشدة:

فعن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع و رب الأرض و رب العرش الكريم)([[110]](#footnote-110)). وفي رواية لمسلم: (كان إذا حزبه أمر....).

وعن أسماء بنت عُمَيْس قالت: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألا أعلمُكِ كلماتٍ تقولينهنّ عند الكرب- أو في الكرب-: (اللهُ، الله ربي، لا أشرك به شيئاً)([[111]](#footnote-111)).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي؛ إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحًا. قالوا: يا رسول الله: ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن)([[112]](#footnote-112)).

2-طاعة المسلم السابقة للبلاء وطاعته فيه أيضًا من أسباب النجاة من المكاره، فيونس عليه السلام قال الله عنه: ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الصافات:143-144]. وقد اختلف المفسرون في المراد بالتسبيح هنا: قال الماوردي: فيه أربعة أوجه: أحدها: من القائلين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين, قاله الحسن. الثاني: من المصلين، قاله ابن عباس. الثالث: من العابدين, قاله وهب بن منبه. الرابع: من التائبين, قاله قطرب. وقيل: تاب في الرخاء فنجاه الله من البلاء([[113]](#footnote-113)).

3-هناك صور من لطف الله بعبده المؤمن أثناء بلائه؛ فإن الله تعالى حفظ يونس في بطن الحوت، وألهمه الدعاء والتضرع، فلما خرج أنبت عليه شجرة من يقطين لتعود إلى بدنه الحياة.

قال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره:

فَأَنْبَتَ يَقْطينًا عَلَيه برَحْمَةٍ ... مِن الله لَولا اللهُ ألفي ضَاحيا([[114]](#footnote-114)).

4- قال الفرزدق لابن هبيرة حين نقب له السجن وهرب، فسار تحت الأرض هو وابنه حتى نفذا:

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا ... وَلَمْ يَكُ إِلَّا بَطْنَهَا لَكَ مَخْرَجَا

دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَمَا ... ثَوَى فِي ثَلَاثٍ مُظْلِمَاتٍ فَفَرَّجَا

خَرَجْتَ وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ شَفَاعَةً ... سِوَى رَبِّكَ الْبَرِّ اللَّطِيفِ الْمُفَرِّجَا

وَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سِرْتَ لَيْلَةً ... وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا "([[115]](#footnote-115)).

**الفرج بعد الشدة على زكريا عليه السلام**

شدائد الحياة كثيرة متنوعة، وفقد الأولاد من تلك الشدائد التي يتجرع مرارتها أهل العقم المشتاقون إلى الذرية، وكلما امتد العمر وضعف البدن عظم الشوق إلى الأطفال.

وفي القرآن الكريم ذكر الله لنا أمثلة على من حُرموا الأولاد بسبب عقمهم أو عقم أزواجهم ، ومنهم نبي الله زكريا عليه السلام الذي طال عمره حتى اشتعل رأسه شيباً، ثم فرج الله عنه هذه الشدة بمجيء يحيى عليه السلام الذي أحيا الله به عقر أمه.

**أولاً: الشدة:**

كانت هذه الشدة هي فقد الولد بسبب عقر زوجته وكبر سنه وسنها، قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[الأنبياء:89].

"أي: لا تتركني فرداً لا ولد لي يرثني في نبوتي وعلمي وحكمتي، ويرث ذلك من آل يعقوب حتى لا تنقطع منهم النبوة والصلاح"([[116]](#footnote-116)).

**ثانيًا: الفرج:**

منَّ الله تعالى على زكريا وزوجه بمجيء الولد، وكان طريق زكريا إلى هذه النعمة الدعاء؛ وذلك أنه لما " رأى عند مريم من رزق الله الذي رَزَقها، وفضله الذي آتاها من غير تسبُّب أحد من الآدميين في ذلك لها، ومعاينته عندَها الثمرة الرّطبة التي لا تكون في حين رؤيته إياها عندَها في الأرض؛ طمع بالولد، مع كبر سنه، من المرأة العاقر، فرجاْ أن يرزقه الله منها الولد، مع الحال التي هما بها، كما رزق مريم على تخلِّيها من الناس ما رَزَقها من ثمرة الصيف في الشتاء وثمرة الشتاء في الصيف، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين العاداتُ في الأرض، بل المعروف في الناس غير ذلك، كما أن ولادة العاقر غيرُ الأمر الجاريةُ به العادات في الناس، فرغب إلى الله جل ثناؤه في الولد، وسأله ذرّيةً طيبة"([[117]](#footnote-117)).

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[آل عمران:37-38].

وقال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا \* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[مريم:2-6].

وقال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[الأنبياء:89].

وبعد هذا الدعاء والإلحاح على الله تعالى استجاب الله دعوة عبده ونبيه زكريا فرزقه ابنًا سماه تعالى يحيى.

وقد جاء زكريا هذا الرزقُ في قالب البشرى على لسان الملائكة وهو قائم يصلي في محرابه.

فما أعظم فرحة زكريا وزوجة بهذا الفرج الذي كشف عنهما غم شدة عظيمة بقيا عليها ردحًا من الزمن.

قال الله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[آل عمران:39].

وقال تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[مريم:7].

وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء:90].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-لقد كان صبر زكريا وزوجه صبراً عظيمًا على هذه الشدة طوال هذه المدة، ولكن لما رأى زكريا حال مريم وكبر سنه ورقة عظمه واستشعر خوفه على دين الله أن لا يقوم به أحد بعده؛ ابتهل بين يدي الله وتضرع إليه أن يرزقه الله الذرية الطيبة.

2-من تأمل في دعاء زكريا وجد الآتي:

أ-استعمل زكريا عليه السلام في دعائه من أسماء الله اسم( الرب) "وسر ذلك أن الله تعالى يُسأل بربوبيته المتضمنة قدرته وإحسانه وتربيته عبده وإصلاح أمره"([[118]](#footnote-118)).

و"الرب": هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم؛ ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة"([[119]](#footnote-119)).

"ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم إلى الإله المعبود، وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة؛ كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته، وكان الدعاء له، والاستعانة به، والتوكل عليه فيهم أكثر من العبادة له، والإنابة إليه"([[120]](#footnote-120)).

ولهذا من تتبع أدعية القرآن والسنة رأى اسم (الرب) هو أكثر اسم يدعى به الله عز وجل.

ب-لم يسأل زكريا من الله ولداً دون أن يكون متسمًا بالصلاح، وإنما سأل الله الذرية الطيبة الصالحة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: 38]، وقال أيضًا: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[مريم:6].

ج-لقد دعا زكريا ربه بغير رفع صوت، قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾[مريم:3]، وهو في هذا " راعى -عليه السلام- حسن الأدب في إخفاء دعائه؛ فإنه أَدْخَلُ في الإخلاص وأبعد من الرياء"([[121]](#footnote-121)).

قال ابن القيم-وهو يذكر فوائد إخفاء الدعاء: " سادسها: وهو من النكت السرية البديعة جداً: أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً﴾ فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصور ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه، ولم يتأت له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جليسًا له يسمع خفي كلامه فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، ولله المثل الأعلى سبحانه"([[122]](#footnote-122)).

د-لقد مهد زكريا بين يدي دعائه بوسائل لإجابة الدعاء: فذكر ضعفه وكبر سنه وهو موجب للرحمة بهبة الولد، وذكر أيضًا كونه قد تعود من ربه الكريم أنه لم يخب إذا دعاه كأنه يقول: إنك عودتني يا رب الإجابة فيما مضى فلا تحرمني الإجابة هذه المرة.

فقال الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[مريم:4].

هـ-ذكر زكريا سببًا من أسباب طلب الولد وهو القيام بأمر الدين من بعده في بني إسرائيل، فقال: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[مريم:5-6].

" أي: خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام. وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله ﴿ يَرِثُنِي ﴾ أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله والقيام بدينه، لا إرث مال، ويدل لذلك أمران:

أحدهما: قوله: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين"([[123]](#footnote-123)).

ز-استعمل زكريا حسن الأدب في الطلب فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[الأنبياء:89] يعني: لا تدعني " وحيدًا بلا ولد يرثني، ثم ردّ أمره إليه مستسلمًا، فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ﴾، فحسبي أنت، وإِنْ لم ترزقني وارثًا فلا أبالي؛ فإنك خير وارث"([[124]](#footnote-124)). أو يكون المعنى: " وأنت ترث نفسي كلها بالمصير إليك مصيراً أبدياً فإرثك خير إرث؛ لأنه أشمل وأبقى وأنت خير الوارثين في تحقق هذا الوصف"([[125]](#footnote-125)).

ح-حسن تذييل زكريا دعاءه باسم الله السميع فقال: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾[آل عمران:38]، وهو من التوسل المحمود في الدعاء، وقد ختم به في أدعية كثيرة في القرآن الكريم.

3-لقد استجاب الله تعالى دعاء زكريا بإصلاح زوجه أولاً للحمل لكونها عاقراً وكبيرة السن، ثم حملت بعد ذلك، فلا ييأسن مؤمن من فرج لشدته ولو تخلفت الأسباب المعتادة.

4-قول زكريا: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[مريم:8]، لم يكن هذا منه استبعاداً لقدرة الله تعالى؛ لعلمه بقدرة ربه تعالى على كل شيء، وإنما كان " استفهام زكريا استفهام استخبار واستعلام ; لأنه لا يعلم هل الله يأتيه بالولد من زوجه العجوز على كبر سنهما على سبيل خرق العادة، أو يأمره بأن يتزوج شابة، أو يردهما شابين؟ فاستفهم عن الحقيقة ليعلمها، ولا إشكال في هذا"([[126]](#footnote-126)).

5-لقد كان الفرج على زكريا وزوجه من شدة العقم فرجًا عظيمًا؛ فلم يكن هذا الابن الذي وهبه الله لهما كغيره من أبناء الناس، بل كان موصوفًا بصفات عظيمة، ومهيأً لمهمات جسيمة، فمن ذلك:

أ- أن يكون سيدًا في قومه، له المكانة العالية.

ب-أن يكون بعيداً عن الذنوب والشهوات الضارة.

ج- أن يكون نبيّاً من الصالحين الذين بلغوا في الصَّلاح الغاية.

قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[آل عمران:39].

د-أن الله سماه بنفسه باسم لم يحمله قبله أحد من البشر، وهذه ميزة عظيمة.

قال تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[مريم:7].

هـ-ولما وُلِد هذا المولود أعطاه الله الحكمة وحسن الفهم، وهو صغير السن.

ز-وجعله الله من أهل محبته وتقواه، ومن أهل البر بوالديه.

قال تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا \* وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾[مريم:12-14].

ح-حصول السلامة والأمان له يوم ولد من الشيطان، ويوم مات من الفتان، ويوم يبعث من عذاب النار، قال تعالى: ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[مريم:15].

"قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال: يوم ولد فيخرج مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله. فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن"([[127]](#footnote-127)).

6-الدعاء والصلاح المستمران من العبد من أعظم أسباب إجابة دعائه؛ فإن الله لما ذكر إجابته دعاء زكريا علل ذلك بكون زكريا وزوجه من أهل المسارعة إلى الخيرات والدعاء في حالي الرغبة والرهبة، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء:90].

**الفرج بعد الشدة على مريم عليها السلام**

إذا كانت الشدة قد وقعت على كثير من الرجال ممن ذُكروا في قصص القرآن الكريم؛ فإن هناك نساء ذكرهن القرآن وقعت عليهن الشدة أيضًا، وتفضل الله عليهن بالفرج بعد ذلك.

فمن أولئك النسوة: الصديقة مريم بنت عمران عليها السلام.

هذه المرأة الصالحة من فضائلها: أن الله تعالى أثنى عليها في كتابه في مواضع؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران:42].

وأثنى عليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث:

فعن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ( خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة )([[128]](#footnote-128)).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام )([[129]](#footnote-129)).

وقد كانت مريم عليها السلام من بني إسرائيل من أسرة صالحة معروفة بالتقوى، وكان من خبر أمها العابدة التقية:حينما كانت حاملاً بها: أن نذرت لله تعالى هذا الجنين خادمًا لبيت المقدس بعد أن يولد ويكبر، على عادتهم في ذلك الزمان.

فلما ظهر حسن نية أم مريم، وصدق تقربها لله تعالى بما نذرت به استجاب الله دعاءها، وقَبِل نذرها، وأصلح ابنتها مريم، وجعلها في كفالة زوج خالتها نبي الله زكريا عليه السلام، حينما خرجت القرعة له بعد أن اختصم صلحاء بني إسرائيل كل يريد أن يكفلها ويربيها.

فقام زكريا عليه السلام بتربيتها تربية صالحة، ورعايتها رعاية تامة، وأسكنها في محراب عبادته، فكانت تأتيها كرامات من الله تعالى من الطعام في غير أوانه؛ فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فنشأت نشأة صالحة نقية.

فشبَّت مريم وبلغت مبلغ النساء، فأراد الله تعالى- وله الحكمة البالغة- أن يخلق منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام من غير أب؛ ليكون معجزة دالة على قدرته، ويعظ بها بني إسرائيل الذين غرقوا في الماديات، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[المؤمنون:50].

فلأمرٍ ما يعلمه الله تعالى خرجت مريم عليها السلام من محرابها، وتباعدت عن قومها، فاتخذت لها مكانًا للعبادة مما يلي الشرق عن قومها، فاستترت في ذلك المكان عن أعين الناس.

وهناك بدأت الشدة معها التي آلت إلى الفرج الكبير بعد ذلك:

**أولاً: الشدة:**

فمن صور الشدة التي مرت بها مريم:

1- رهبة مجيء جبريل إليها في محرابها من غير مقدمات مُعلِمة بذلك، فقد أرسل الله إليها جبريل عليه السلام ملكَ الوحيِ في صورة إنسان تام الخلق، فلما جاءها في ذلك المكان الخالي -وهي الطاهرة النقية العفيفة- خافت وفزعت، فكانت الشدة عليها بذلك عظيمة؛ إذ خشيت منه أن يدنس عرضها ويهتك شرفها وهي في موضع لا ينجدها من ذلك الرجل أحد.

فاستجارت بالله الرحمن ليرحمها من شر إنسان لا تعرفه، وذكرَّته بالله وبتقواه؛ ليعصمه ذلك من قربانها بسوء. قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا ﴾[مريم:16-18].

2-سماعها من جبريل بأنها ستحمل ولداً ليس له أب، وهذا له تبعاته الاجتماعية على سمعتها؛ فلذلك: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[مريم:20].

3-حملها من غير أن تتزوج؛ لأنها سترجع إلى قومها بولد ولم يعهدوها ذات زوج، وقد كانت لديهم من أهل الشهرة بالعفة والصلاح، ومن بيت موصوف بذلك أيضًا.

فماذا سيقول عنها قومها إذا رجعت إليهم بابن لها من غير زوج شرعي؟

4-اجتماع آلام متعددة عند ولادتها: آلام جسدها بالطلق، وآلام نفسها من سماع اتهامها بالفاحشة؛ فإنها لما كانت في تلك الحال أضحت تعاني أنواعًا من الكروب: كرب الولادة، وكرب قلة الخبرة فيها، لكونها عذراء وليس بجانبها أحد، والكربة الكبيرة هي ماذا ستقول لقومها إذا رجعت إليهم بوليد وهي ليست ذات زوج، وقد عُرفت بينهم بالعفة والعبادة، وهذا الكرب الأخير هو الذي تمنت بسببه الموت قبل أن يكون عندها حمل، ولم تتمن الموت بعد حصوله؛ لأنه لو تحقق ذلك لما نفى عنها التهمة.

كما تمنت كذلك أن لا تكون شيئًا يُعرف أو يذكر أو يهتم به؛ لزهد أهله فيه، وهذا الذي تمنته دفع إليه الخوف من العار والفضيحة.

قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾[مريم:23].

5-الذهاب بعيسى إلى قومها وسماعها منهم التلميح بالفاحشة، وإنها لشدة عظيمة يوم أن تحركت مريمُ العفافِ والصلاح بطفل بين يديها على أنه ابنها؛ فلذلك لما وصلت إلى قومها بادروها بالتهمة، قال تعالى:﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا \* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[مريم:27-28].

**ثانيًا: الفرج:**

1-فرج الله عن مريم عليها السلام شدة طروق جبريل عليها في ذلك المكان الخالي وهي لم تعرفه من قبل بأن أخبرها بأنه رسول الله جبريل وقد جاءها بأمر من عند الله، وهي من بيت صلاح قد سمعت بجبريل وآمنت بمجيئه إلى الرسل من قبل؛ فلذلك سكن روعها وهدأت نفسها وذهب عنها ما كانت تخشاه النساء العفيفات من الرجال الغرباء.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾[مريم:19].

2-وفرج الله عنها خوفها من الحمل من غير زوج بأن ذلك أمر الله وله في ذلك الحكمة البالغة، وهي المؤمنة الصالحة التي تعلم أن الله إذا قدر على المؤمن شيئًا فإنما هو خير له في عاجل أمره أو آجله. فسلَّمت مريم الصدِّيقة أمرها لقدر الله واطمأنت ورضيت.

3-وفرج الله عنها آلامها الجسدية والنفسية بأن أراها أموراً خارقة للعادة في وليدها عيسى عليه السلام؛ فبينما هي في صراع نفسي وجسدي شديدين إذ سمعت صوت وليدها بين رجليها يطمئنها، ويسكن من روعها، وينتشلها من بين أحزانها، ويسكب في أذنيها كلماتِ السرور والتطمين، والتفاؤل والرضا فيقول لها: لا تستمري في الحزن؛ فإنه سيذهب، ولكن التفتي الآن إلى ما ينفعك وهو الطعام والشراب، فقد جعل الله تحتك-إكرامًا لك- جدولاً جاريًا، وفوقك رطبًا طريًا، فما عليك إلا أن تشربي من الماء، وتهزي جذع النخلة لتساقط عليك تمراً رطبًا غضًا جُنيَ من ساعته. فكلي من الرطب واشربي من الماء، وطيبي نفسًا بهذا المولود، فإن جاءت ساعة العودة إلى القوم فأمسكي عن الكلام نذراً لله، وأحيلي التكلم إلي فأنا سأجيب عنك.

قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا \* فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا \* فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا \* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا \* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[مريم:22-26].

4-وفرج الله عنها شدة قالة قومها عنها وما كانت تخشى أن تلقى منهم بأن تكلم وليدها في مهده مبرئًا لها من التهمة، فكان ذلك معجزة عظيمة.

فإن قوم مريم لما قالوا ما قالوا أول ما رأوها أشارت مريم إلى مولودها ليسألوه، وهو سيتولى الجواب عنها، ولما جرت العادة أن الطفل في مهده لا يتكلم استهجنوا كلامها، وتعجبوا قائلين: كيف نكلم طفلاً مازال في مهده رضيعًا؟!

فما انتهوا من كلمتهم الأخيرة إلا وصعقتهم المفاجأة بكلام عيسى مبرئًا أمه مما اتهموها به، مبينًا أنه خُلق بقدرة الله عبداً لله، وأنه سيعطى عندما يكبر كتابًا من السماء لهداية قومه، وسيكون نبيًا لهم. وأخبرهم بأن الله سيجعله عظيم النفع والخير في حياته أينما وجد، وأعلمهم أن الله أوصاه بالمحافظة على الصلاة، وأداء الزكاة عند قدرته على ذلك مدة بقائه حيًا، وأوصاه كذلك ببر والدته التي تحملت هذا العناء وصبرت لأمر الله، وبين لهم أن الله تعالى لم يجعله متكبراً مغروراً غليظًا ولا شقيًا ولا عصيًا. وختم لهم الجواب بأن الله تعالى قد أكرمه بالسلامة والأمان عند ولادته، وعند موته وعند بعثه.

قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا \* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ‎وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[مريم:29-33].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1- الحياة الدنيا قائمة على الأسباب، ولكن الاسباب قد تتخلف أمام قدرة الله؛ إذ يجعل الله تعالى بعض الأشياء حاصلة من غير سبب معهود، وهذا يربي في المسلم قوة اليقين بالله، وكثرة التفاؤل بفرجه ورحمته عند الشدائد التي لا يجد أمام عينيه ولا في ذهنه سببًا لانقشاع ظلماتها. غير أنه حينما يكون واثقًا بالله مؤمنًا بقدرته العظيمة فإنه لن يقف عند الأسباب المحسوسة، ولكنه سينظر بعين اليقين إلى رب العالمين.

2-المنازل العالية عند الله لا تُنال إلا بعد مقاساة صروف البلاء، وتحمل شدة المصائب.

3- الشدائد إذا تناهت واشتدت آذنت بقرب فرج كبير.

4- المنح العظيمة قد تخرج من أرحام المحن الجسيمة؛ فمريم عليها السلام وهي مطوَّقة بتلك الكرب العظام يكرمها الله بطعام وشراب على غير العادة، ويكرمها بإنطاق وليدها ساعة ولادتها به، وهذا أمر خارق للمألوف، فتسمع تطمينه لها فتنسى بذلك تلك الكربات كحال تلك المرأة المؤمنة التي أُمر بإلقائها في النار مع وليدها؛ لإيمانها، فقال لها وليدها في تلك الساعة الحرجة: (يا أمه، اصبري؛ فإنك على الحق)([[130]](#footnote-130)).

4-العمل بالأسباب المشروعة لجلب خير أو دفع شر، ومنه جلب الرزق؛ فقد أمر الله مريم بهز جذع النخلة لإسقاط الرطب، مع أنه لو أراد لأعطاها ذلك من غير هز.

5-جواز تمني الموت للخوف على الدين وما يتعلق به، أما النهي عن تمني الموت فهو في حق من تمناه لمرض أو فقر أو نحو ذلك من مصائب الدنيا.

6-الاستعاذة بالله عند المخاوف من أسباب الفرج: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا ﴾[مريم:18].

7-كانت استعاذة مريم باسم الله الرحمن، وتذكير من طرقها بالتقوى، و" كأنها تستغيث برحمة الله تعالى، وأنها في هذه الساعة تلجأ إلى رحمة الرحمن الرحيم، ثم تتجه إلى الذى دنا منها مستنجدة بتقواه، فتقول: إن كنت تقياً طاهراً متصوناً مرجواً تخاف الله تعالى وتخشاه، فهي تلجأ إلى الرحمن، وتحثه على أن يخافه ويتقيه، ويكون امرأً يخاف عذابه ويرجو ثوابه"([[131]](#footnote-131)).

8-أهمية تطمين المحزون لشدة نزلت به، وتذكيره بما يسلو به من حزنه: ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾[مريم:24].

9-لقد كان هذا المولود الكريم الذي لقيت أمه الصديقة بسببه شدائد متعددة مولوداً عظيمًا؛ فقد هيأه الله لأمر عظيم، وكساه بصفات حميدة كثيرة، وميزه على غيره بميزات عديدة:

أ-أن وجوده كان بكلمة من الله.

ب-سماه الله تعالى بنفسه.

ج- جعل الله له جاهًا عظيماً في الدنيا والآخرة.

د-وجعله الله من المقربين عنده يوم القيامة.

هـ-جعله يتكلم في مهده.

ز-ووصفه بالصلاح.

ح-وعلمه الكتابة، والسداد في القول والفعل، والتوراة التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل الله عليه.

ط-وأرسله إلى بني إسرائيل، وأجرى معجزات عظيمة على يديه.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ \* وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ \* وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ﴾[آل عمران:45-49].

ي-جعله عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْ.

ك-وجعله بارًّا بوالدته ، ولم يجعله متكبرًا ولا شقيًا، ولا عاصيًا لربه.

ن-وأعطاه السلامة والأمان يوم وُلِدْ، ويوم مات، ويوم يبعث حيًا يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ‎وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا \* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا \* وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[مريم:30-33].

**الفرج بعد الشدة على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم**

وعلى طريق الأنبياء عليهم السلام سار نبينا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فلقي من صنوف الشدة كما لقوا، وعانى في حياته من مرارة الكربات ما عانوا.

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة)([[132]](#footnote-132)).

وبعد تلك الشدائد منَّ الله تعالى على النبي عليه الصلاة والسلام بالفرج.

**أولاً: الشدة:**

مر النبي صلى الله عليه وسلم بشدائد كثيرة، صرح القرآن ببعضها، وألمحت آيات أخرى إلى بعضها ووضحت ذلك أسباب النزول، وقد كان من جهات من أوصل إليه الشدة ثلاث جهات: المشركون، المنافقون، اليهود.

**1-إيذاء المشركين.**

وقد كان من صور إيذائهم للنبي الكريم مما ذكره القرآن الآتي:

أ-إعراضهم عن الإيمان به، وشدة صدودهم عن دعوته، فأورثه ذلك حزنًا عليهم وغمًا من سوء مصيرهم، وهو الرؤوف الرحيم الذي يحب أن تسلم أمته من عذاب الله.

قال تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ \* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾[فصلت:4-5]، وقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف:6].

ب-اتهامهم له بالكذب، ورميهم إياه بالسحر والجنون والشعر والكهانة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[الفرقان:4-5]، وقال: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[القلم:51]، وقال: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾[الأنبياء:5].

ج-محاربتهم له بعد أن خرج إلى المدينة في بدر وأحد والأحزاب والفتح، وما بين ذلك من الغزوات الصغيرة.

قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج:39-40].

د-محاولة الاعتداء المباشر عليه، فعن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فَجِئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار، وهولاً وأجنحة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضوًا) قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَيَطْغَى\* أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى\* إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى\* أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى\* عَبْدًا إِذَا صَلَّى\* أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى\* أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى\* أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ –يعني: أبا جهل- ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى\* كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ \* نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ \* فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ\* سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ\* كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق:6-19] ([[133]](#footnote-133)).

بل قد ورد في السنة النبوية ما يدل على أن بعض المشركين قد باشر الاعتداء على رسول الله كما فعل عقبة ابن أبي معيط([[134]](#footnote-134)).

هـ-الاتفاق على قتله ليلة الهجرة.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[الأنفال:30].

ورد عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أن ذلك يوم اتفقوا قبيل الهجرة على أن يجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد([[135]](#footnote-135)).

ز-محاولة اغتياله في المدينة "ولم يكن هذا مجرد وهم أو خيال، فقد تأكد لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكائد قريش وإرادتها على الشر ما كان لأجله لا يبيت إلا ساهراً، أو في حرس من الصحابة"([[136]](#footnote-136)).

عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:67] فأخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم رأسه من القبة فقال لهم: (يا أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله)([[137]](#footnote-137)).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا نزل منزلًا نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجر، فبينما هو نازل تحت شجرة وقد علق السيف عليها إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دنا من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو نائم فأيقظه فقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (الله)، فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[المائدة:67])([[138]](#footnote-138)).

ح-جَرْحه في غزوة أحد.

عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: ( كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وشجوا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله؟) فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:128])([[139]](#footnote-139)).

**2-إيذاء المنافقين:**

ومن صور إيذائهم:

أ-اتهام النبي عليه الصلاة والسلام بعدم العدل في توزيع الصدقات.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[التوبة:58].

ب-اتهام النبي عليه الصلاة والسلام بقبول قول كل أحد وتصديقه.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:61].

قال أحد المنافقين -يقال له: نبتل بن الحارث-: "إنما محمد أذُنٌ! من حدّثه شيئًا صدّقه"([[140]](#footnote-140)).

ج-الاستهزاء بالنبي عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ \* لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة:65-66].

عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾"([[141]](#footnote-141)).

د-إرادة إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة ووصفه بالأذل.

قال تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[المنافقون:8].

عن زيد بن أرقم، قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي، يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون: 1] فبعث إليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ، فقال: (إن الله قد صدقك يا زيد)([[142]](#footnote-142)).

هـ-اتهام النبي عليه الصلاة والسلام بالكذب.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الأحزاب:12].

وعن قتادة في قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:62]، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال: والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقًّا، لهم شَرٌّ من الحمير! قال: فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد حق، ولأنت شر من الحمار! فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال له: ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتَعنُ، ويحلف بالله ما قال ذلك قال: وجعل الرجل المسلم يقول: اللهم صدِّق الصادق، وكذِّب الكاذب! فأنزل الله في ذلك: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:62]([[143]](#footnote-143)).

ز-إرادة قتل النبي صلى الله عليه وسلم.

عن أبي الطفيل، قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر مناديًا فنادى: إن رسول الله أخذ العقبة، فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حذيفة ويسوق به عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، غشوا عماراً وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة: ( قد قد)([[144]](#footnote-144)) حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ورجع عمار، فقال: ( يا عمار، هل عرفت القوم ؟) فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال: ( هل تدري ما أرادوا ؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: ( أرادوا أن ينفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوه) قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نشدتك بالله، كم تعلم كان أصحاب العقبة فقال: أربعة عشر فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، فعذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد"([[145]](#footnote-145)).

قال الضحاك: ففيهم نزلت هذه الآية: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[التوبة:74]([[146]](#footnote-146)).

ح-تخذيل الناس عن الجهاد مع النبي عليه الصلاة والسلام وأمرهم لهم بتركه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[الأحزاب:13].

**3-إيذاء اليهود:**

لقد كان من الشدائد التي لقيها النبي صلى الله عليه وسلم: معاداة اليهود له، وقد نتج عن تلك المعاداة أعمال آذوا رسول الله بها؛ كتكذيبه، وهجائه وسبه، وسحره، وسمّه، ومحاولة اغتياله، ومحاربته، ومعاونة من حاربه، وخلخلة صفوف المسلمين وبث الشائعات بينهم، وغير ذلك.

ومن صور إيذاء اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام التي صرح أو أشار إليها القرآن:

أ-محاربة النبي عليه الصلاة والسلام؛ كما فعلوا في خيبر، ومعاونة من حاربه كما فعلوا في الخندق.

وفي سورتي الفتح والأحزاب إشارات إلى ذلك، كما سنذكر.

ب-نقض العهود معه عليه الصلاة والسلام.

ومن ذلك نقض بني النضير الذين نزلت فيهم آيات من سورة الحشر. عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: نزلت في بني النضير"([[147]](#footnote-147)).

ج- إساءة القول مع النبي صلى الله عليه وسلم نثراً وشعرا.

فقد كان بعض اليهود يحيون النبي عليه الصلاة والسلام بقولهم: (السام عليك) أي: الموت لك.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[المجادلة:8].

عن عبد الله بن عمرو، أن اليهود: ( كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة :8] فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ...﴾[المجادلة :8] إلى آخر الآية([[148]](#footnote-148)).

وأما الشعر فقد كان كعب بن الأشرف يهجو بشعره رسول الله عليه الصلاة والسلام والمسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[آل عمران:186].

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان كعب بن الأشرف يهجو النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود وكانوا يؤذون النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه فأمر الله عز وجل نبيه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾([[149]](#footnote-149)).

وكان كعب بن الأشراف لا يكتفي في إيذاء النبي عليه الصلاة والسلام بهذا فحسب، بل كان يمالئ عليه أعداءه من قريش ويفضلهم عليه:

فعن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم، قال: نعم، قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية! قال: أنتم خير منه، قال: فأنزلت: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾[الكوثر:3]،

وأنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا \* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾[النساء:51-52]([[150]](#footnote-150)).

د-حسد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[النساء:54].

يعني: " أتحسدون محمدًا وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله"، وقد ورد عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي والضحاك أن الناس في الآية: محمد عليه الصلاة والسلام([[151]](#footnote-151)).

وبعد، فهذه بعض صور الشدة التي لقيها النبي صلى الله عليه وسلم من أعدائه، وصرحت بها الآيات القرآنية، أو أشارت إليها بعض الآيات وبينتها أسباب النزول.

أما من اطلع على سنة النبي عليه الصلاة والسلام وأجال نظره في سيرته العطرة فسيجد صوراً كثيرة جداً لما ناله صلى الله عليه وسلم من صنوف الشدة وألوان الكربات.

ولم تكن تلك الشدائد في العهد المكي فحسب، بل في العهد المدني أيضًا.

فقد سُب رسول الله وشتم وطعن فيه، ومات أحبابه وأصفياؤه أو قتلوا، وجُرح وجاع وجاهد وتعرض لمحاولات اغتيال كثيرة، وغير ذلك.

ولخص تلك الشدائد ابن القيم -مخاطبًا ضعيف العزم على طريق الحق-: " أين أنت, والطريقُ طريقٌ تعب فيه آدم, وناح لأجله نوح, ورُمي في النار الخليل, وأُضجع للذبح إسماعيل, وبِيع يوسف بثمن بخس, ولبث في السجن بضع سنين, ونُشر بالمنشار زكريا, وذُبح السيد الحصور يحيى, وقاسى الضرَّ أيوب, وزاد على المقدار بكاء داود, وسار مع الوحش عيسى, وعالج الفقرَ وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم، وتريده أنت باللهو واللعب؟!.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فيا دارَها بالحَزْنِ إن مزارها |  | قريبٌ, ولكنْ دون ذلك أهوالُ"**([[152]](#footnote-152))**. |

**ثانيًا: الفرج:**

لم تكن تلك الشدائد التي طوقت النبي صلى الله عليه وسلم لتبقى على عنفوانها، بل كان الفرج منها ينتظر إذن الله تعالى بكشفها ومحوها عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام.

**1-الفرج من أذى مشركي قريش:**

شدائد مكة كان الفرج منها قد مر على مرحلتين: المرحلة الأولى: مرحلة التخفيف. والمرحلة الثانية: مرحلة الكشف والزوال.

**المرحلة الأولى: مرحلة التخفيف:**

ففي هذه المرحلة كانت الآيات القرآنية تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فتأمره بالصبر عمومًا، وبالصبرِ كما صبر الرسل من قبله.

قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[غافر:77]، وقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾[الأحقاف:35].

-كما نزلت عليه آيات تنهاه عن الحزن لإعراض المشركين عن الإيمان، واتهامهم له بالتهم الباطلة:

قال تعالى: ﴿ وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:176]، وقال: ﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[النمل:70]،وقال: ﴿ فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[يس:76].

-كما نزلت آيات تنفي عنه الطعون التي وجهت إليه، وتبين أنه على خلاف ذلك، حيث أثبتت للناس كمال صدقه، ورجاحة عقله، وزكاء نفسه، حتى ثبت لدى القاصي والداني بأنه ليس كما قال المشركون:

قال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الحاقة:41-42].

وقال: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾[التكوير:22]، وقال: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ ﴾[الطور:29].

-كما نزلت آيات تسليه عما هو فيه من الشدة لتكذيب المشركين له، مبينة له أن الرسل قبله قد حصل لهم ما يحصل له:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾[فاطر:4]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الأنعام:34].

-وبين تعالى الله لرسوله الكريم أن حرصه على هداية المشركين، وبذله أقصى جهده في انتشالهم من ضلالهم لا يهديهم مادام قد كتب عليهم الضلال، فلا ينبغي له أن يحزن والحال هذه، قال تعالى: ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾[النحل:37].

-وأراحه من حزن عدم تصديقهم لرسالته بأن شهادة الله بصدقه تكفيه شهادة، إضافة إلى شهادة علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، فقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[الرعد:43].

-كما أزال الله تعالى عنه وطأة المبالغة في الحرص على إسلامهم بأن قال له: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[فاطر:8]، وقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف:6] يعني: فلا تفعل ذلك.

-حتى وصل التطمين والتسكين والتخفيف من الله تعالى عن رسوله إلى نتيجة: أن عليه أن يؤدي البلاغ إلى الناس وتلك مهمته، فمن اهتدى فعائدة هدايته بالخير على نفسه، ومن ضل فليس عليه هدايته، ولا له الحزن عليه، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾[النمل:92].

**المرحلة الثانية: مرحلة الكشف والزوال:**

وهذه المرحلة بدأت بأمر الله له بالهجرة عن مكة إلى المدينة، فبخروجه عليه الصلاة والسلام من مكة غدا خارجًا عن تسلط قريش وقهرها، وصار له قوة تمنعه اعتداءاتها، وأمان يبعد عنه خوفها.

وكانت لقريش محاولتان أخيرتان للنيل من النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يصل إلى المدينة كتب الله له الفرج من شدتهما.

المحاولة الأولى: محاولة قتله في بيته قبل أن يخرج، فنجاه الله منها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[الأنفال:30].

المحاولة الثانية: مطاردته في طريق المدينة ليردوه إلى مكة حيًا أو ميتًا، فنجاه الله منها أيضًا:

قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:40].

ولما وصل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة وكوّن دولة الإسلام انتصر الله له من مشركي قريش ابتداءً بغزوة بدر وانتهاء بفتح مكة.

وبذلك فرج الله عن رسوله صور الشدة التي كان يعانيها من المشركين.

**اشتَدِّي أزمةُ تَنْفَرِجي ... فالضِّيق منوطٌ بالفرجِ**

**والعُسْرُ يَؤُولُ إلى يُسْرٍ ... والرُّوحُ تُرَاحُ مِنَ الحَرَجِ([[153]](#footnote-153)).**

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[آل عمران:123]....

﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ \* لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾[آل عمران:126-127].

وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النصر:1-3].

2- **الفرج من أذى المنافقين:**

وقد فرج الله عن نبيه عليه الصلاة والسلام من عناء المنافقين بأن فضحهم وأخرج خباياهم، ولم يبلغهم فيه آمالهم، وتساقطوا عن محك الإيمان كما تتساقط أوراق الخريف، فعرفهم الناس ورمقوهم بعيون الإذلال والمقت.

فنزلت سورة التوبة فكشفت عوارهم، وبيت للناس حقائقهم فصاروا بعد نزولها في ذلة وهوان:

عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة هي الفاضحة، ما زلت تنزل: ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذكر فيها"([[154]](#footnote-154)).

ولسورة التوبة أسماء ارتبطت بكشفها المنافقين وفضح خباياهم الخبيثة:

فهي المقشقشة سميت بذلك لأنها تقشقش من النفاق أي: تبرئ منه. وهي المبعثرة لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها. والفاضحة لأنها فضحت المنافقين. والمخزية لأن فيها خزي المنافقين. والمدمدمة لأن فيها هلاك المنافقين. والمشردة لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم. والمثيرة لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم. والبحوث لأنها بحثت عن سرائر المنافقين([[155]](#footnote-155)).

قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾[التوبة:64].

**3-الفرج من أذى اليهود:**

دأب اليهود منذ أن وطئت قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة على إيذائه عبر طرق شتى، فصبر رسول الله عليهم، حتى تمادوا في شرهم، ففرج الله عن نبيه الكريم من الشدائد التي يلقاهم منهم، فكان من وسائل الفرج:

1- إجلاء اليهود عن المدينة.

ففي بني النضير أنزل الله أوائل سورة الحشر، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ \*

وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[الحشر:2-5].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير -وهم طائفة من اليهود- على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة- يعني السلاح- فأنزل الله فيهم: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[الحشر:1] إلى قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: 2] فقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي)([[156]](#footnote-156)).

2-قتل بني قريظة؛ جزاء خيانتهم ومظاهرتهم المشركين يوم الأحزاب.

ففي بني قريظة وما حكم الله فيهم وفرج الله عن رسوله من شرهم أنزلت آيات من سورة الأحزاب:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[الأحزاب:26-27].

3-القضاء على شر اليهود في خيبر وغنيمة أموالهم.

وقد أشار الله إلى ذلك في سورة الفتح:

قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾[الفتح:15].

المغانم الكثيرة: غنيمة خيبر. قاله مجاهد وقتادة والجمهور([[157]](#footnote-157)).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح:18].

الفتح القريب: فتح خيبر؛ لقربها من الحديبية , قاله قتادة([[158]](#footnote-158)).

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح:27]^

والفتح القريب: يعني: فتح خيبر في قول ابن عباس في رواية عطاء، ومقاتل وابن زيد، وفي قول الآخرين هو صلح الحديبية([[159]](#footnote-159)).

وهكذا قطع الله دابر اليهود الذين ظلموا وفرج الله عن رسوله والمسلمين من شرهم.

**اشتدي أزمة تنفرجي ... قد أُبْدِلَ ضيقُكِ بالفَرَج**

**مهما اشتدت بك نازلة ... فاصبر فعسى التفريج يجي([[160]](#footnote-160)).**

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-كم كلمة تكذيب سمعها الصادق عليه الصلاة والسلام، وكلمة تخوين سمعها الأمين، وكلمة اتهام سمعها البريء الكريم، ومع ذلك صبر وحلم حتى فرج الله عنه، فصبراً فصبراً أهلَ الحق على ما تسمعون من أهل الباطل؛ فإن رحى الأيام تدور ولن تبقى الحال دائمًا على ما هي عليه.

خَلِيلَيَّ لَا وَاَللَّهِ مَا مِنْ مُلِمَّةٍ\*\* تَدُومُ عَلَى حَيٍّ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعَنَ لَهَا\*\* وَلَا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بُلِيْ بِنَوَائِبٍ\*\* فَصَابَرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ\*\* تَلَقَّيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ ([[161]](#footnote-161)).

2-كم ذاق النبي صلى الله عليه وسلم من مرارات الشدائد في مكة خلال ثلاث عشرة سنة، ومع ذلك ما خرج بسيفه لمجالدة المشركين؛ لأنه كان يعلم فقه المرحلة بأمر الله له بذلك؛ ففي وقت الاستضعاف يطلب تغليب الصبر والحكمة على الجزع والطيش.

3- مهما أظلم ليلك، واشتد حبل كربتك؛ فأيقن بأن الفرج في طريقه إليك، غير أنه قد يتأخر لعوائق في الطريق، فافسح له السبيل إليك بعظم وثوقك بالله، وحسن الظن به، والاستمرار على طاعته.

4-الفرج قد لا يأتي دفعة واحدة دائمًا، فقد يمر بمراحل، فلا تيأس من تمام الفرج.

5-إن التطمين والتسكين للنفس المكلومة طريقة قرآنية ينبغي لنا سلوكها مع المحزونين والمكروبين؛ فكم من كلمة تنزل على الضمير الجريح فتضمده وتكون سبب شفائه.

6-أيها المكروب، هذا نبي الله خيرة خلقه وأحب عباده إليه يلاقي صنوفًا من الشدائد، وكلما خرج من شدة استقبلته أخرى، فلا تظن أن طريق الإيمان مفروش بالراحة والسكون والتلذذ بالعبادات الظاهرة تحت ظلال استقرار النفس وسلامتها، لابد أن توطن نفسك على أن الشدة عنصر ملازم لطريق المؤمنين، وعليها يظهر الصادق من الكاذب، فقط اصبر وصابر ورابط على حصن الإيمان وستنجلي مكارهك، وستكون في النهاية من المحاب؛ لما تعقبه من العاقبة الحميدة.

**الفرج بعد الشدة على الصحابة رضي الله عنهم**

لم يكن الدين الجديد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليروق قريشًا الوثنية فستقبله بالرضا والنصرة، بل كان دينًا مرفوضًا لديها؛ لأنه سيبطل دينها الذي دانت به هي وآباؤها وأجدادها؛ فلذلك وقفت في وجهه محارَبة له وصداً عنه.

وكان كل من سمعت عنه أنه اعتنقه تهرع إلى إيذائه حسب مكانته؛ فمنهم من تؤذيه بالقتل، ومنهم من تؤذيه بالتعذيب، ومنهم من تؤذيه بالسب والشتم، ومنهم من تؤذيه بالسجن، ومنهم من تضطره إلى ترك مكة إلى غيرها.

وهكذا مرت ثلاث عشرة سنة مشحونة بالشدائد المتصلة، مكسوة بالمكاره المتعددة، حتى أذن الله بالفرج بالهجرة إلى المدينة، وهناك تنفس النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة الصعداء، وتحرروا من قيود قريش.

وفي المدينة واجهوا شدائد أخرى من إيذاء اليهود والمنافقين وقتال قريش وسائر الأعداء، حتى فرج الله عنهم بالنصر والتمكين وعلو كلمة الله تعالى في الأرض.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض ما لقيه الصحابة رضي الله عنهم من الشدة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف فرج الله عنهم منها، وقد جاء ذلك صريحًا في آيات، وفي آيات أخرى أشير إلى ذلك إشارة فوضحتها أسباب النزول وأقوال بعض الصحابة عليهم رضوان الله.

وسنفصل ذلك في الآتي:

**أولاً: الشدة:**

**1-الشدة في مكة:**

لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة ألوانًا من الشدة من قبل كفار قريش، ولم يكن بمقدورهم دفع ذلك البلاء عنهم؛ لضعفهم وقوة قريش، وقلة عددهم وكثرة عدد عدوهم.

فمن صور الشدة التي لقيها الصحابة رضي الله عنهم هناك: الإذلال والقهر، والخوف والسطو، والتعذيب والقتل، وغير ذلك.

وقد أشارت بعض الآيات القرآنية إلى ذلك، فمنها: قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الأنفال:26].

"عن عكرمة قوله:﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، قال: يعني بمكة، مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة"([[162]](#footnote-162)).

والمعنى: اذكروا هذه النعمة، حيث كنتم بمكة وأنتم قليل عَددكم مع كثرة عدوكم ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ فِي أرض مكة، يستضعفكم قريش ويعذبونكم ويضيقون عليكم ﴿ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ أي: تخافون أن يأخذكم أعداؤكم من قريش أخذاً سريعًا؛ لقوتهم وضعفكم، فرفع الله عنكم بفضله هذه الحال، وأبدلكم خيراً منها بأن آواكم إلى المدينة، وألف بين قلوبكم يا معشر المهاجرين والأنصار ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ في غزوة بدر، وقذف في قلوب أعدائكم الرعب منكم ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ أي: ورزقكم من الغنائم التي أحلها لكم بعد أن كانت محرمة على الذين من قبلكم، كما رزقكم أيضًا بكثير من المطاعم والمشارب الطيبة التي لم تكن متوفرة لكم قبل ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾: أي: نقلناكم من البلاء إلى النعماء والآلاء، وهو تذييل قصد به حضهم على مداومة الشكر والطاعة لله- عز وجل- أي: نقلكم الله- تعالى- من الشدة إلى الرخاء، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الفقر إلى الغنى([[163]](#footnote-163)).

ومن صور الشدة على الصحابة في مكة: محاولات الإكراه على الردة عن الإسلام، ففي عمار بن ياسر رضي الله عنه وأمثاله: نزل قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النحل:106]؛ فعن قتادة ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ﴾ قال: ذُكِر لنا أنها نزلت في عمار بن ياسر، أخذه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا: اكفر بمحمد، فتابعهم على ذلك وقلبه كاره، فأنزل لله تعالى ذكره: ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ : أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ([[164]](#footnote-164) ).

وقريب من قصة عمار قصة بلال رضي الله عنهما الذي كان يعذَّب كما يعذب عمار ويكره على الكفر كما يكره:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: " أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد؛ فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد"([[165]](#footnote-165)).

**2-الشدة في المدينة:**

لم تكن المدينة جنة الآخرة سالمة من الشدائد، نقية من البلاء، رغم أنها كانت فرج الله على الصحابة المهاجرين، إلا أن طبيعة الحياة الدنيا عدم سلامة العيش فيها من شدة وكدر؛ فلذلك لقي الصحابة رضي الله عنهم في المدينة بعض الشدائد أيضًا.

غير أن الله قد هيأ نفوس الصحابة لذلك أول ما استقروا في المدينة؛ حتى يستعدوا للمكاره العظام القادمة فيهون عليهم الأمر، قال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[آل عمران:186].

وهذا: " شروعٌ في تسليةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ مَعَهُ من المؤمنينَ عما سيلقَوْنه من جهة الكفرةِ من المكاره إثرَ تسليتِهم عما قد وقع منهم ليوطِّنوا أنفسَهم على احتماله عند وقوعِه ويستعدوا للقائه، ويقابلوه بحسن الصبرِ والثباتِ؛ فإن هجومَ الأوجالِ مما يزلزل أقدامَ الرجال، والاستعداد للكروب مما يهوِّن الخطوبَ"([[166]](#footnote-166)). " وأعلمهم تعالى بهذا الابتلاء والسماع ليكونوا أحمل لما يرد عليهم من ذلك إذا سبق الإخبار به، بخلاف من يأتيه الأمر فجأة فإنه يكثر تألمه"([[167]](#footnote-167)).

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[البقرة:155].

عن عطاء في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"([[168]](#footnote-168)).

" خاطبهم بذلك بعد الهجرة، وأخبرهم بذلك قبل وقوعه تطمينًا لقلوبهم؛ لأنه إذا تقدم العلم بالواقع كان قد استعد له، بخلاف الأشياء التي تفاجئ؛ فإنها أصعب على النفس، وزيادة ثواب وأجر على ما يحصل لهم من انتظار المصيبة"([[169]](#footnote-169)).

وقد تمثلت كثير من تلك الشدائد التي لقيها أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة في إيذاء أعدائهم لهم، وكان أعداؤهم هناك ثلاثة أصناف: اليهود، والمنافقون، والمشركون.

**1- إيذاء اليهود:**

كان من الشدة التي واجهها الصحابة في المدينة: إيذاء اليهود لهم، وكان إيذاء اليهود لهم كثيراً متنوعًا؛ لبغضهم وحسدهم لهم.

قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[المائدة:82].

والمعنى: " والله يا محمد، إنك لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود"([[170]](#footnote-170)).

وقد آذوهم بالقول، وآذوهم بالفعل، فسبّوهم وشببوا بنسائهم، ونقضوا عهودهم معهم، وسعوا بالوقيعة بينهم، وبثوا الشبهات حول الإسلام كي يشككوهم فيرتدوا عنه، وقاتلوهم وقتلوا منهم، وغير ذلك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك:

أ-قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[آل عمران:72].

"قال الحسن، والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس كذلك، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: هم أهل الكتاب فهم أعلم منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم"([[171]](#footnote-171)).

ب-وقال تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[آل عمران:186].

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان كعب بن الأشرف يهجو النبي -صلى الله عليه وسلم- ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود وكانوا يؤذون النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه فأمر الله عز وجل نبيه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾([[172]](#footnote-172)).

وقد قيل عند هذه الآية: إن كعب بن الأشرف كان يحرض المشركين على الرسول وأصحابه في شعره،

وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم، ويشبب بنساء المسلمين، ذكر ذلك الزهري([[173]](#footnote-173)).

ج-ومن إيذاء اليهود للصحابة: الغدر بهم وقتالهم ومظاهرة أعدائهم عليه؛ كما فعلوا في بني النضير والخندق وخيبر.

ففيما جرى في بني النضير قال تعالى: ﴿ لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾[الحشر:14].

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: لا يقاتلكم هؤلاء اليهود بني النضير مجتمعين إلا في قرى محصنة بالحصون، لا يبرزون لكم بالبراز"([[174]](#footnote-174)).

**2-إيذاء المنافقين:**

والعدو الثاني للصحابة في المدينة: المنافقون، وقد ألحقوا بالصحابة من الشدة صنوفًا، فمن ذلك:

أ-وصفُ الرسول والصحابة بالأذلين، وإرادة إخراجهم من المدينة، وتأليب رأي أهل المدينة عليهم.

قال تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ \* يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[المنافقون:7-8].

والقائل هو عبد الله بن أبي ، ولكن القرآن نسب القول إليهم جميعًا لأنهم رضوا بقوله، ووافقوه عليه.

والمعنى: لا تنفقوا على من عند رسول الله من فقراء المهاجرين، ولا تقدموا لأحد منهم عونا أو مساعدة، حتى ينفضوا من حوله. أي: حتى يتفرقوا من حوله. ومرادهم: استمروا على عدم مساعدتكم لهم، حتى يتركوا المدينة، وتكون مسكنًا لكم وحدكم.

وأراد عبد الله بن أبي بالأعز: نفسه، وشيعته من المنافقين، وأراد بالأذل: الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين وغيرهم من المؤمنين الصادقين([[175]](#footnote-175)).

وقد جاء في الصحيحين: عن زيد بن أرقم قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا وكذبني النبي صلى الله عليه وسلم وصدقهم، فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي وقال عمي: ما أردت إلى أن كذبك النبي صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾[المنافقون:1]. فأرسل إليّ النبي صلى الله عليه وسلم فقرأها وقال: ( إن الله قد صدقك ).

ب-الطعن في نيات المتصدقين الأغنياء من الصحابة، وانتقاص المتصدقين الفقراء والسخرية منهم.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:79].

عن أبي مسعود قال: لما أُمرنا بالصدقة كنا نحامل، فتصدق أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بشيء أكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾"([[176]](#footnote-176)).

ب-خلخلة صف الصحابة في الغزو وإيقاع أسباب الجبن فيهم.

قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[التوبة:47].

"والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالاً، والمراد به هنا الإفساد وإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم، ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ يعني: ولأسرعوا فيكم وساروا بينكم بإلقاء النميمة والأحاديث الكاذبة فيكم، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ يعني: يطلبون لكم ما تفتتنون به؛ وذلك أنهم يقولون للمؤمنين: لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم، وإنكم ستهزمون منهم، وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي تجبِّن"([[177]](#footnote-177)).

ج-حرصهم على رد الصحابة إلى الكفر وتخذيلهم إياهم عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[التوبة:48].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدَّهم عن دينهم وحرصوا على ردّهم إلى الكفرِ بالتخذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أحدٍ، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه"([[178]](#footnote-178)).

د-كراهيتهم للخير لهم، وحبهم لكل شر يصيبهم.

قال تعالى: ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾[التوبة:50]^

"أي: إن ينزل بكم أمر هو حسن في ذاته، وعندكم، ويملأ نفوسكم بالسرور يكون هذا سببًا لآلامهم، فسروركم مسيء لهم؛ لأنهم يريدون أن تدور عليكم الدوائر"([[179]](#footnote-179)).

" وهذا ذكر نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم، والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، فإن المساءة بالحسنة، والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا إلى الغاية، ومعنى: ﴿يتولوا﴾ يرجعوا إلى أهلهم عن مقامات الاجتماع ومواطن التحدث حال كونهم فرحين بالمصيبة التي أصابت المؤمنين"([[180]](#footnote-180)).

هـ- الاستهزاء والسخرية منهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾[التوبة:65].

عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾"([[181]](#footnote-181)).

**3- إيذاء المشركين:**

وإن كان قهر مشركي قريش للمؤمنين الأولين قد انتهى بالهجرة إلى المدينة إلا أن ذلك لم يقطع أذاهم عنهم، غير أن المواجهة هذه المرة انتقلت إلى ميدان القتال بين الطرفين بابتداء المشركين به، بعد أن كان الأمر في مكة مقصوراً على عدوان قريش على المسلمين من غير رد له.

كما انضاف إلى مشركي قريش في هذه المواجهة مشركون آخرون وهم مشركو الأعراب، ومشركو هوازن وغطفان ومن معهم من أوباش الوثنية.

لهذا حصلت بين المسلمين والمشركين معارك شرسة قُتل من قتل من الصحابة رضي الله عنهم وجرح من جرح فيها.

ومن أشهر تلك المعارك الدامية: بدر، أحد، الأحزاب، حنين.

**أ-معركة بدر:**

في هذه المعركة التقى الصحابة بالمشركين عند ماء بدر، ولم يكن للمسلمين استعداد تام لهذا اللقاء الدامي؛ لأنهم إنما خرجوا لأجل قافلة أبي سفيان، غير أن الله جمعهم مع عدوهم على غير ميعاد.

وقد كان الصحابة في هذه المعركة قليلي العدد والعدة والمشركون على كثرة وعدة واستعداد؛ ولذلك أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء والضراعة استنزالاً لنصر الله في ذلك الكرب الشديد الذي لو كانت الإدالة فيه للمشركين لكان ضربة قاصمة لأهل الإسلام، ولكن الله سلم.

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:9].

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: ( اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ) فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك؛ فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز و جل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:9].فأمده الله بالملائكة ([[182]](#footnote-182)).

وعن حالهم في ذلك اليوم من القلة يخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[آل عمران:123].

والذلة التي ظهرت لغيرهم عليهم هي ما كانوا عليه من الضعف وقلة السلاح والمال والمركوب. خرجوا على النواضح يعتقب النفر على البعير الواحد، وما كان معهم من الخيل إلا فرس واحد، ومع عدوهم مائة فرس، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً، وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل([[183]](#footnote-183)).

وفي هذه المعركة قتل من الصحابة بضعة عشر رجلاً، وجُرح آخرون.

**ب-معركة أحد:**

هذه المعركة كانت مأساة كبيرة على المسلمين، وجرحًا داميًا في تاريخ المسلمين، وحصل للصحابة فيها من الشدة ما لم يحصل مثلها من قبل ومن بعد؛ فقد جرح فيها النبي عليه الصلاة والسلام وكاد أن يُقتل، وقتل سبعون من خيار الصحابة ومثّل بجثثهم، وجرح جمع آخر منهم، وحصل لهم فيها من الآلام ما حصل؛ ولذلك لم يتحدث القرآن الكريم عن غزوة من الغزوات كما تحدث عن هذه الغزوة؛ فقد أنزل الله في شأنها ستين آية من سورة آل عمران.

ومما يدل على عظم المصاب فيها: أن الله وصف ما فيها: بالقرح، والغم، والمصيبة:

قال تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾[آل عمران:140]، وقال: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾[آل عمران:154]، وقال:﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:166].

فمن مشاهد الشدة في هذه المعركة الدامية: جرح النبي عليه الصلاة والسلام، وإشاعة مقتله:

فقد جرح المشركون وجهه وكسروا رباعيته اليمنى وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر، سئل سهل بن سعد رضي الله عنه عن جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فقال: "جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم"([[184]](#footnote-184)).

وقد جاءت إشاعة مقتله لعوامل منها: شدة كثافة الهجوم عليه صلى الله عليه وسلم؛ فقد ركز المشركون" حملتهم على النبي صلى الله عليه وسلم، وطمعوا في القضاء عليه، رماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وكُلِمَتْ شفته السفلي، وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري فَشَجَّه في جبهته، وجاء فارس عنيد هو عبد الله بن قَمِئَة، فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين، ثم ضرب على وجنته صلى الله عليه وسلم ضربة أخري عنيفة كالأولى حتى دخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجْنَتِه، وقال : خذها وأنا ابن قمئة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهة : ( أقمأك الله )"([[185]](#footnote-185)).

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: (من يردهم عنا وله الجنة؟) - أو (هو رفيقي في الجنة) -، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة؟ -) أو (هو رفيقي في الجنة) -، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة([[186]](#footnote-186)).

وبعد قتل الصحابة من الأنصار ثبت طلحة بن عبيد الله مدافعًا عن النبي عليه الصلاة والسلام، فقد روى النسائي بسند حسن أن النبي عليه الصلاة والسلام قال-بعد أن قتل الأنصار الذين حوله كلهم-: (من للقوم؟ فقال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه).

" ووقع عند الحاكم في الإكليل أنه جرح يوم أحد تسعاً وثلاثين أو خمساً وثلاثين، وشلت إصبعه، أي: السبابة والتي تليها .وروي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء، وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد"([[187]](#footnote-187)).

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟!)، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:128]([[188]](#footnote-188)).

وهذا الذي جرى للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في هذه المعركة أشار إليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران:153].

وقد اختلف المفسرون في المراد بالغمين في الآية إلى أوجه:

الوجه الأول: الغم الأول هو: ما تحدَّث به القوم أنّ نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قُتل، والغمّ الآخر: ما نالهم من القتل والجراح، قاله قتادة ومجاهد.

الوجه الثاني: غمهم الأول: كان قتْل من قتل منهم، وجرح من جرح منهم، والغم الثاني: كان من سماعهم صوت القائل: قُتل محمد، صلى الله عليه وسلم، قاله الربيع، وقتادة، في رواية.

الوجه الثالث: الغم الأول: ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم في الشِّعب، قاله السدي.

الوجه الرابع: الغم الأول: غم يوم أحد، والغم الثاني: غم يوم بدر، قاله الحسن.

الوجه الخامس: الغم الأول: بسبب الهزيمة، وحين قيل: قتل محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني: حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ لَيْسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا)([[189]](#footnote-189))، قاله ابن عباس، ومقاتل.

الوجه السادس: الغم الأول: بسبب الهزيمة، والثاني: حين قيل: قُتِلَ محمد صلى الله عليه وسلم، كان ذلك عندهم أعظم من الهزيمة، قاله عبد الرحمن بن عوف، وروي عن عمر نحوه.

الوجه السابع: الغم الأول سببه: فرارهم الأول، والثاني: سببه فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل، قاله مجاهد.

الوجه الثامن: الغم الأول: إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، ذكره الثعلبي.

وبعض هذه الأوجه يدخل في بعضها الآخر.

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية: قولُ من قال: معنى قوله: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أيها المؤمنون، بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين، والظفر بهم، والنصر عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ -بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون- بمعصيتكم ربَّكم، وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم؛ غمَّ ظنَّكم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل، وميلَ العدوّ عليكم بعد فلولكم منهم.

والذي يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه: قوله: ﴿لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ﴾ والفائت- لا شك- أنه هو ما كانوا رجَوْا الوصول إليه من غيرهم، إما من ظهور عليهم بغلَبهم، وإما من غنيمة يحتازونها، وأنّ قوله: ﴿وَلا مَا أَصَابَكُمْ﴾ هو ما أصابهم: إما في أبدانهم، وإما في إخوانهم.

فإن كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الغم الثاني هو معنًى غير هذين؛ لأن الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه أثابهم غمًّا بغم؛ لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الناشئ عما فاتهم من غيرهم، ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم، وهو الغم الأول، على ما قد بيناه قبل"([[190]](#footnote-190)).

**ج-غزوة الأحزاب:**

كانت هذه الغزوة شديدة على المسلمين بخوفها ومرارة توقع نتائجها؛ فقد اجتمع أعداء المسلمين وكونوا تحالفًا بينهم فجاء جيش عرمرم يفوق عدد أهل المدينة من الرجال والنساء والأطفال، غايته استئصال شأفة المسلمين، فحاصر المدينة شهرا.

وعن عظمة الشدة التي نزلت بالصحابة في هذه الغزوة يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[الأحزاب:10-11].

وهاتان الآيتان تمثلان الحال الشديدة التي وصلت إليها النفوس، فزيغ الأبصار كناية عن شدة الرعب والذعر، وبلوغ القلوب الحناجر كناية عن شدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع؛ خوفًا من أن ينتصر هذا العدو ويُهزم المسلمون ويُقتل رسول الله، فلما كانت الحال كذلك حصل الابتلاء الكبير للمؤمنين، وحصل لهم من زلزال الخوف شيء عظيم.

ولم تقتصر الشدة التي نزلت من العدو المقابل، بل حصلت شدة أخرى في هذه الغزو متمثلة بخيانة بني قريظة من الخلف، وتخذيل المنافقين وبلبلتهم داخل الصف، فصار المسلمون مطوقين بالأعداء من كل جانب.

ففي هذه الغزوة نطقت ألسنة المنافقين وانكشفت خباياهم فراحوا يبثون الرعب بين الصفوف، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \* وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا \* وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴾[الأحزاب:12-14].

**د-غزوة حنين:**

في غزوة حنين أصاب المسلمين في أولها مصيبة كبيرة حينما أعد المشركون لهم في حنين كمينًا من الرماة فرشقوهم بالنبل فانهزم المسلمون هزيمة منكرة فكروا راجعين مختلي الصفوف يبحثون في الأرض عن مأمن.

وعن الشدة التي نزلت بهم آنذاك تحدث القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾[التوبة:25].

فقوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ تمثيل لحال المسلمين لما اشتد عليهم البأس واضطربوا ولم يهتدوا لدفع العدو عنهم، بحال من يرى الأرض الواسعة ضيقة. وهي استعارة تمثيلية تمثيلاً لحال من لا يستطيع الخلاص من شدة بسبب اختلال قوة تفكيره، بحال من هو في مكان ضيق من الأرض يريد أن يخرج منه فلا يستطيع تجاوزه ولا الانتقال منه. قال الشاعر:

كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ ... عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ([[191]](#footnote-191)).

**ثانيًا: الفرج:**

إن الشدة ليل يعقبه نهار ولابد، فلذلك أشرق ضياء الفرج على الشدائد التي مر بها أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في حياة نبيهم الكريم.

غير أن ذلك الفرج كان على مرحلتين: ا لأولى: التخفيف من الشدة، الثانية: زوال الشدة كلها.

**المرحلة ا لأولى: التخفيف من الشدة:**

لله حكم بالغة في امتداد حبل بعض الشدائد، ومن ذلك استمرار البلاء على رسول الله والصحابة في مكة ثلاث عشرة سنة، وفي لهب ذلك الامتحان كانت تهب أنسام التخفيف على قلوب المعذَّبين والمقهورين في مكة بتلاوة رسول الله عليه الصلاة والسلام آيات من القرآن الكريم نزلت لتخفف من وهج ذلك البلاء.

وهذا التخفيف كبسولات مسكنة بين يدي الفرج التام، ينزل على النفوس المؤمنة فيجعلها ترى البلاء خيراً لها في عاقبته وإن كان مر المذاق في أوله، فيخف عند ذلك ألمها، ويذهب عنها جزعها وقنوطها اللذان يزيدان الوجع وجعا.

**التخفيف من الشدة في مكة:**

وقد جاء ذلك التخفيف في العهد المكي في صور متعددة، منها:

أ-بيان أن طريق الإيمان لابد فيه من الابتلاء، وأن سنة الله قد جرت في الأولين وستجري كذلك في الآخرين، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت:2-3].

عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)([[192]](#footnote-192)).

ب- التبشير بالنصر، وقد نزلت في ذلك آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور:55].

قال القرطبي: " وهكذا كان الصحابة مستضعفين خائفين، ثم إن الله تعالى أمنهم ومكنهم وملكهم"([[193]](#footnote-193)).

ج-الدعوة إلى الهجرة، قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾[العنكبوت:56].

قال المباركفوري: " كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، بدأت ضعيفة، ثم لم تزل يومًا فيومًا وشهرًا فشهرًا حتى اشتدت وتفاقمت في أواسط السنة الخامسة، حتى نبا بهم المقام في مكة، وأوعزتهم أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم. وفي هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف، ردوداً على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي صلّى الله عليه وسلم، ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين؛ فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكلاً على الله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً ﴾[الكهف: 16]، وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة إلى الظاهر. ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس تمامًا، وسيصادر هؤلاء الطغاة المشركون- إن لم يؤمنوا- أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء. وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده- بين آونة وأخرى- من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون. ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقة: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ [الزمر: 10]"([[194]](#footnote-194)).

**التخفيف من الشدة في المدينة:**

مس الصحابةَ في المدينة فقر وحاجة، وصلف من أعدائهم من اليهود والمنافقين والمشركين، فذكر الله لهم حال من قبلهم من المؤمنين حتى يخف عليهم مصابهم بتذكر مصاب إخوانهم السالفين، فقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة:214].

قال الرازي: " قال ابن عباس: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، اشتد الضرر عليهم، لأنهم خرجوا بلا مال، وتركوا ديارهم وأموالهم في أيدي المشركين، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى تطييبًا لقلوبهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ...﴾، والمقصود من هذه الآية ما ذكرنا أن أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينالهم الأمر العظيم من البأساء والضراء من المشركين والمنافقين واليهود، ولما أذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الأموال والنفوس ما لا يخفى، فعزاهم الله في ذلك وبين أن حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك، والمصيبة إذا عمت طابت، وذكر الله من قصة إبراهيم عليه السلام وإلقائه في النار، ومن أمر أيوب عليه السلام وما ابتلاه الله به، ومن أمر سائر الأنبياء عليهم السلام في مصابرتهم على أنواع البلاء ما صار ذلك في سلوة المؤمنين([[195]](#footnote-195)).

غير أن أعظم الشدائد التي نالت المسلمين في المدينة: ما نالهم في غزوة أحد.

وقد خفف الله عنهم شدة ما فيها بآيات أنزلها في سورة آل عمران، وقد جاء ذلك التخفيف في صور ، منها:

1-التذكير بنصر الله لهم يوم بدر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[آل عمران:123].

2-النهي عن الوهن والحزن والدعوةُ إلى الثبات على الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:139].

3-بيان أن الأيام سجال بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران:140].

4-بيان الآثار الحسنة لنتيجة غزوة أحد، قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران:140-141].

5-بيان أن دخول الجنة يحتاج إلى جهاد وصبر، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران:142].

6-تنبيههم على أن دين الله يجب القيام به حيي رسول الله أو مات، وأن إشاعة مقتل رسول الله لا يجوز بها ترك الإسلام والجهاد، قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[آل عمران:144].

7-تذكيرهم بأن أتباع بعض الأنبياء السابقين لم يضعفوا لما أصابهم، بل صبروا واستمروا في قتال عدوهم، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران:146].

8-تذكيرهم بسبب الهزيمة، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران:165].

9-بيان أن ما أصابهم كان بإذن الله لحكم عظيمة، منها معرفة المؤمنين من المنافقين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ \* وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾[آل عمران:166-167].

10-بيان ما أعده الله لمن قتل في سبيله، قال تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:169-171].

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا ﴾ [آل عمران: 169]"([[196]](#footnote-196)).

**المرحلة الثانية: زوال الشدة كلها:**

**أ-شدة مكة:**

كانت الشدة العظمى التي اصطلى المؤمنون الأولون بنارها هي تسلط مشركي قريش عليهم وقهرهم لهم، حيث لم تكن لهم هناك قوة تدافع عنهم، ولا قدرة يسلمون بها من ذلك الظلم الكبير، وكان من الحكمة الصبر وتحمل البلاء، حتى جاء الفرج التام بالهجرة إلى المدينة وهناك سلم الصحابة من جبروت كفار قريش، وصارت لهم دولة ينضوون تلك لوائها، وجيش يدفعون به يد الظلم عنهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الفرج ووصفه بالنعمة على المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الأنفال:26].

قال ابن كثير: " ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثرهم، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، واستشكرهم فأطاعوه، وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستخفين مضطرين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله، من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم؛ لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها، وقيض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره وآسوا بأموالهم، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله"([[197]](#footnote-197)).

**ب-شدة المدينة:**

**1-الفرج من أذى المنافقين:**

ففرج تعالى عنهم محاربة المنافقين لهم في السر بأن فضح أهل النفاق وأخرجهم من مخابئهم فعرفهم الناس فصار أولئك المنافقون إلى ذلة وهوان، ولولا الحكمة النبوية لأباد رسول الله عليه الصلاة والسلام خضراءهم.

وقد أنزل الله فيهم آيات كشفتهم، وجلّت بعضُ المواقف خباياهم فظهروا على حقيقتهم، وقد أنزل الله فيهم آيات تتلى توضحهم للناس وتحكم عليهم، فمن تلك المواقف:

**-الأول:** موقفهم في غزوة أحد، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[آل عمران:154].

**الثاني:** موقفهم يوم إجلاء بني النضير، فإنهم لما علموا بأمر رسول الله بإجلاء بني النضير أرسلوا إليهم: " أن اثبتوا وتمنعوا؛ فإنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم"([[198]](#footnote-198)).

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ﴾[الحشر:11-12].

**الثالث:** موقفهم في غزوة الخندق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾...الآيات [الأحزاب:13-20].

**الرابع:** موقفهم في غزوة المريسيع وعقبها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾... الآيات[المنافقون:5-8].

وكان لعبد الله بن أبي زعيم المنافقين ابنٌ صالح فلما سمع بمقولة أبيه قال: " يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه... فقال رسول الله: " بَلْ نَرْفُقْ بِهِ وَنُحِسنْ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا"([[199]](#footnote-199)).

وقال لأبيه : والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صلى الله عليه و سلم العزيز، ففعل"([[200]](#footnote-200)).

**الخامس:** موقفهم في غزوة تبوك وعقبها، وقد أنزل الله فيهم آيات كثيرة([[201]](#footnote-201))، بل كانت سورة التوبة تسمى الفاضحة؛ لأنها فضحتهم وأبانت عن بواطنهم، ولها أسماء أخرى في الغرض نفسه، وقد تقدم ذكر ذلك.

**2-الفرج من أذى اليهود:**

وفرج الله عن الصحابة من محاربة اليهود وشرهم بأن نصر الله الصحابة عليهم؛ فأجلوا بعضهم عن المدينة، وقتلوا بعضهم، وانتصروا في القتال على آخرين وغنموا أموالهم.

قال تعالى عما جرى لبني النضير وبني قينقاع: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الحشر:15].

قال الطبري: مثل هؤلاء اليهود من بني النضير والمنافقين فيما الله صانع بهم من إحلال عقوبته بهم (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول: كشبههم. قال ابن عباس: هم بنو قَيْنُقَاع([[202]](#footnote-202)).

وقال عن بني قريظة: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[الأحزاب:26-27].

وقال عن خيبر: ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[الفتح:20].

**3-الفرج من أذى المشركين:**

وفرج الله عن الصحابة من محاربة المشركين لهم بأن نصر الله صحابة نبيه على أولئك الكفار ابتداء من غزوة بدر وانتهاء بغزوة حنين، فزال بذلك سلطان كفار قريش وغيرهم من مشركي الجزيرة ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة.

ففي غزوة بدر يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ \* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ \* لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾[آل عمران:124-127].

وفي غزوة الأحزاب يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[الأحزاب:9]، وقال: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[الأحزاب:25].

وفي فتح مكة يقول تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[النصر:1].

وفي حنين يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[التوبة:25-26].

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-إن الظفر بوسام الإيمان ترقية لا تنال إلا بتضحية، وغنيمة ثمينة لا يحصل عليها إلا بسلوك سبل الشدة.

2-إن دعاء المؤمن في آلامه بالفرج لا يضيع، ولكن قد تتأخر الإجابة لحكمة، فكم دعا الصحابة في مكة وهم في وهج البلاء!

3- الشدة مدرسة تعلم المؤمنين دروسًا كثيرة، وتصقل مرآة إيمانهم، وتؤهلهم للمهمات الكبيرة، وهكذا كان حال الصحابة السابقين.

4-لا يظن مؤمن أنه إذا خرج من شدةٍ ما أنه سيكون في حصن منيع من تسلل الشدائد إليه، ليس الأمر كذلك، لكنه قد يتخلص من شدة إلى شدة أهون يمكن أن يتعايش معها؛ لأن هذه الحال هي حقيقة هذه الدنيا؛ إذ لا يسلم أحد فيها من كدر.

5-الناظر في الشدائد التي مر بها الصحابة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام يجدها كثيرة متنوعة، تباينت أنصبة الصحابة فيها، فكان هناك شدائد عامة، وهناك شدائد خاصة، فمن ذلك: القتل، الجرح، التعذيب، الأسر، الجوع، خشونة العيش، الإكراه على الخروج من المال، الاستهزاء، التهديد، الخوف والحصار، فراق الأحبة، تنوع الأعداء، وغير ذلك. فسبحان من صبرهم!

6-كان من أسباب الفرج في حياة الصحابة: الصبر والثبات، البحث عن المخرج من الشدة، والدعاء، والتفاؤل والثقة بالله تعالى.

وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... ألا ربّ ضيق في جوانبه سعهْ([[203]](#footnote-203)).

7-حينما تكون الشدة عامة تهون، فكل مبتلى يتسلى ببلاء غيره.

8-في آيات القرآن سلون المحزون، وضياء الطريق للمغموم، وبلسم الجرح لمن تناوبت عليه سهام الشدة، فإذا لفحتك نار الشدائد فاهرع إلى القرآن.  
9-في دجى الشدائد اصنع من تفاؤلك مصباحًا ترى به الطريق إلى فجر الفرج.

10-بين الشدة والفرج طريق قد يقصر أو يطول؛ فالصابر الواثق المتفائل يقصر أمامه مهما كان طويلا، والجزِع اليائس السيء الظن بربه يطول أمام عينيه ولو كان قصيرا.

**الفرج بعد الشدة على الثلاثة الذين خُلِّفوا**

انطلقت جموع الإيمان إلى تبوك لقتال الروم في ظروف شديدة، وأحوال صعبة؛ فالحر شديد، والجمع كثير، والزاد يسير، والمراكب قليلة، والسفر بعيد الشقة، والعدو كثير العدد، والثمر قد دنا قطافه بعد طول انتظار، والنفوس إلى ذلك تميل، وفي هذا الجو الملبد بهذه المشاق قعد كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع عن الخروج إلى تبوك؛ تكاسلاً وميلاً إلى الدعة، لا نفاقًا ولا شكًا.

يقول كعب راوي هذه الحادثة من بين صاحبيه بأسلوبه البديع: ( لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد... وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة. فغزاها رسول الله صلى الله عليه و سلم في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً... وغزا رسول الله صلى الله عليه و سلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر، فتجهز رسول الله صلى الله عليه و سلم والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم غاديًا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء)([[204]](#footnote-204)).

فلما رجع النبي صلى الله عليه السلام من هذه الغزوة طفق المنافقون يجيئون إليه فيعتذرون كذبًا فيقبل ظواهرهم ويدع سرائرهم إلى الله.

أما ثلاثتنا الكرام هؤلاء فلم يعتذروا اعتذار المنافقين، بل صدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن لهم عذر في التخلف عن الغزوة، يقول كعب رضي الله عنه: ( حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك).

لهذا فقد كانت لكعب وصاحبيه معاملة خاصة؛ فإن كعبًا لما قال ما قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك). وكذلك قال لصاحبيه.

وقد ورد في قصة كعب وصاحبيه ثلاث آيات: الأولى قوله تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:106].

فقد جاء عن عكرمة ومجاهد والضحاك وابن جريج وغيرهم أن هؤلاء هم الثلاثة الذين خلِّفوا([[205]](#footnote-205)).

والآية الثانية والثالثة قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \*

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة:118-119].

**أولاً: الشدة:**

لقد صورت الآية الكريمة الثانية الحال الشديدة التي وصل إليها كعب وصاحباه أبلغ تصوير، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾[التوبة:118].

يقول تعالى: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ، يقول: بسعتها، غمًّا وندمًا على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو مثل للحيرة في أمرهم، كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرّون فيه قلقاً وجزعًا مما هم فيه. فالمعنى: أنهم تخيلوا الأرض في أعينهم كالضيقة كما قال الشاعر:

مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ الضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ بما نالهم من الوَجْد والكرْب بذلك. فصارت لا يسعها أنس ولا سرور؛ لأنها حرجت من فرط الوحشة والغمّ. وضيق أنفسهم استعارة للغم والحزن؛ لأن الغم يكون في النفس بمنزلة الضيق. ﴿وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ ، يقول: وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء، إلا إلى استغفاره([[206]](#footnote-206)).

وملخص هذه الشدة التي وصل إليها كعب وصاحباه كما ذكرتها الآية في الآتي:

1-ضيق الأرض عليهم بما رحبت؛ بسبب غمهم وندمهم وحيرتهم وقلقهم، وكذلك لكون" النبي عليه الصلاة والسلام صار معرضًا عنهم، ومنع المؤمنين من مكالمتهم، وأمر أزواجهم باعتزالهم، وبقوا على هذه الحالة خمسين ليلة"([[207]](#footnote-207)).

يقول كعب رضي الله عنه: ( ونهى رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريبًا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار... حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه و سلم يأتيني فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر).

2-ضيق أنفسهم عليهم؛ لاستشعارها غضب الله ورسوله عليهم، وخوفهم من تعذيب الله لهم.

3-انقطاع رجائهم إلى الله وحده بانتظار الفرج بنزول التوبة ، والانتظار للشيء بحد ذاته شدة وعذاب.

فلم يكن مرور اليوم عليهم في تلك المدة كمروه في بقية الزمان بل كان يمشي ببطء شديد؛ لرهبتهم من عذاب الله، ورغبتهم في توبته عليهم.

**ثانيًا: الفرج:**

ثم بعد مرور خمسين ليلة جاء الفرج من عند الله تعالى لكعب وهلال ومرارة رضي الله عنهم، فأنزل الله تعالى:" ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ \* وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة:117-118]"([[208]](#footnote-208)).

قال ابن كثير: " ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أي: مع سعتها فسدت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمرا لله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم، وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيرًا لهم وتوبة عليهم؛ ولهذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا"([[209]](#footnote-209)).

ولندع كعب بن مالك رضي الله عنه يصور تلك اللحظات المشرقة بنزول الفرج من الله، ويصف لنا ببيانه الرائع نفسه الظامئة لنمير ذلك اليوم السعيد، فيقول: ( ... ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، قال: فآذن رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسًا وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه و سلم يتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة، ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال -وهو يبرق وجهه من السرور- ويقول: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قال: فقلت: أمن عندك ؟ يا رسول الله أم من عند الله ؟ فقال: لا بل من عند الله).

**ثالثًا: عظات وعبر:**

1-إذا كان أهل الدنيا يعدون الشدائد ما عكر عليهم لذات دنياهم أو قطعها عنهم فحسب؛ فإن أهل الإيمان يعدون أعظم الشدائد أن يصيروا في موضع سخط الله وغضبه عليهم.

2-كم لذة دنيوية أوصلت إلى شدة وبلاء.

3- لا ينجي من الشدائد إلا الله، فعلق قلبك به ولا تعلقه بغيره، وإذا عصيته وأظلمت نفسك ندمًا، وكساها الذنب صدأ فلا جلاء لها إلا بالفرار إلى الله:

مِنْكَ أَرْجُو وَلَسْتُ أَعْرِفُ رَبًّا ... يُرْتَجَى مِنْهُ بَعْضُ مَا مِنْكَ أَرْجُو

وَإِذَا اشْتَدَّتِ الشَّدَائِدُ فِي الْأَرْ ... ضِ عَلَى الْخَلْقِ فَاسْتَغَاثُوا وَعَجُّوا

وَابْتَلَيْتَ الْعِبَادَ بِالْخَوْفِ وَالْجُو ... عِ وَصَرُّوا عَلَى الذُّنُوبِ وَلَجُّوا

لَمْ يَكُنْ لِي سِوَاكَ رَبِّي مَلَاذٌ ... فَتَيَقَّنْتُ أَنَّنِي بِكَ أَنْجُو([[210]](#footnote-210)).

4-الطاعة من أسباب النجاة من الشدة، ومن الطاعات: الصدق؛ فهؤلاء الثلاثة ما أنجاهم إلا الصدق، قال كعب: ( وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت، قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم إلى يومي هذا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي).

5-كم في الشدة من خير يناله المؤمن، فكعب وصاحباه في هذه الشدة قد ظفروا بتوبة الله عليهم وتسطير ذلك في كتاب الله الخالد القرآن، ومنذ ذلك اليوم عزم كعب على أن لا يقول إلا صدقًا حتى يموت فوفى بذلك.

كم نكبةٍ فِي حشاها نعْمَة ويدٍ ... لله يُنجي بهَا من هول مطّلعِ

وَكم فزعت إِلَى الأيّام ثمَّ أَتَت ... تمدّ أيديها نحوي من الْفَزعِ

إِذا بَدَت نكبةٌ فالحظ أواخرها ... تنظر إِلَى فرج للكرب متّسعِ([[211]](#footnote-211)).

6-إذا اشتد على عنقك حبل الشدة، وانسدت أمام عينيك طرق الفرج وجزمت بالهلكة المحققة فهناك أيقن تمام اليقين أن الفرج الكبير قد اقترب منك.

قال القرطبي: "وكذلك سنة الحق مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب، ووطنوا أنفسهم على الهلاك أمطر عليهم سحائب الجود فأحيا قلوبهم"([[212]](#footnote-212)).

7-الصبر من طرق النجاة من الشدة؛ فهؤلاء الثلاثة صبروا منتظرين فرج الله، ولم يخرجوا عن الصبر إلى العصيان والارتداد عن الإيمان، بل إن كعبًا جاءه في تلك الشدة عرض مغرٍ في حسابات أهل الدنيا، لكن إيمانه الراسخ رفض ذلك العرض، يقول كعب: ( فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشأم ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابًا من ملك غسان فإذا فيه: "أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك". فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها).

**الخاتمة**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وزوجاته الطاهرات، أما بعد:

فبعد هذه الرحلة في قصص القرآن الكريم للتأمل في الفرج بعد الشدة فيها؛ نخلص إلى نتائج عامة من هذا التطواف في تلك الرياض النضرة:

1-الشدائد عنصر ملازم لهذه الحياة على الصالحين وعلى الطالحين في كل زمان، ولا سلامة لأحد من هذه السنة الدنيوية، فالواجب التسليم لهذا القانون الحياتي وعدم التبرم من حصوله، وتوطين النفس على أنها عرضة للكربات في أي لحظة.

2- الذنوب طريق إلى الشدة، والطاعات طريق إلى الفرج، وقد يسلط الله على المسلم العاصي أو المؤمن المقصر بعض فجرة خلقه أو كفرتهم؛ حتى يستقيم على الجادة ويترك ما هو عليه من المعاصي والقصور.

3-الأيام دول، والزمن قُلّب، فلا تدوم قوة القوي من البشر ولا ضعف الضعيف، ودورة الزمان لا ترحم ولا تستثني، ولكنها تعلِّم كل ذي لب أن يجعل له خط رجعة، فلا يسرف على نفسه في عصيان الخالق ولا ظلم المخلوقين فيسد عن نفسه أبواب العودة عند شروق الفكرة بعد ظلمة السكرة.

4-من رحمة الله بعباده: أن الشدة لا تدوم، فإن طال وقتها فإنها لن تبقى على ما كانت عليه في أولها من الألم والضيق، بل تخف مع الزمن حتى يستمر العيش معها، وكم من جسم اشتد عليه الوجع في أول المرض ولما استمر صار المريض يعيش بمرضه حياة طبيعية.

5- الشدائد إذا تناهت وأيقن المرء بالهلكة وأيس من الفكاك جاء فرج الله تعالى.

6-لا يعني الرضا بما نزل من الأقدار المؤلمة أن يسكن المؤمن فلا يتحرك للبحث عن مخرج منها، بل المطلوب الخروج من ذلك بعمل الأسباب المشروعة: مثل: الدعاء، والاستعاذة بالله، والاستعانة به، ثم بمن يقدر على إزالة الشدة من الخلق، والثقة بالله، والتوكل عليه، والفرار من موضع الخوف والبلاء، والإحسان إلى الخلق، وإعداد العدة، وغير ذلك.

7-من مخففات الشدائد: الرضا، والصبر، التسلي بشدائد الآخرين، اليقين بحصول اليسر بعد العسر، الثواب الكبير للصابرين.

8-بعض المكاره توصل إلى بعض المحاب، ولله حكمة في هذا التقدير، ومن تلك الحكم: أن يستشعر المعافى من بلائه عظمة نعمة عليه فيحسن إلى غيره كما أحسن الله إليه؛ فيرحم المبتلى، ويعطف عليه، ويذهب عن نفسه العجب والغرور.

9-ليس الفرج محصوراً على زوال كل شدة في حال الحياة، بل من الفرج أيضًا أن يموت المؤمن على تلك الشدة وهو ثابت صابر على قضاء الله وقدره؛ لأنه سينتقل بعد تلك الشدة إلى جنة الله ورضوانه فيذهب هناك كل ألم.

10-المؤمن إذا كان حسن الظن بالله، كامل التوكل عليه لا يعني ذلك سلامته من وخز الشدة، وتألمه من مراراتها، بل لعله تسيل دموعه على وجنتيه، ويسطر الحزن تجاعيد الألم على وجهه، وينشغل باله. ما لم يخرج ذلك إلى أفعال أو أقوال تخالف الصبر والرضا.

11-في أيام الشدة يجب سلوك الأدب مع الله بالصبر والرضا، وحسن الطلب والدعاء، والإخبار عن الشكوى، واستعمال الأسماء والصفات التي تناسب المطلوب في ابتداء الطلب وختمه.

12-سوابق الطاعات تنجي من الشدائد، فاجعل لك رصيداً من الطاعات الخالصة لتنجو بها يوم المكاره، وفي ميزان أهل الدنيا قالوا: " القرش الأبيض لليوم الأسود"، ففي ميزان الآخرة قل: " الحسنة السابقة منجاة من الشدة اللاحقة".

13-كم لله من ألطاف يكسو بها عبده المؤمن في بلائه، فلو تفكر فيها المبتلى لخف عنه مصابه.

14-ينبغي أن يكون الدعاء لكشف الشدة وتحصيل الفرج متسمًا بآداب منها: حسن الرجاء بالله أثناءه وعقبه. إخفاؤه. ذكر بعض الأسباب لطلب الفرج وكشف الشدة. الاستمرار في الدعاء وعدم اليأس واستعجال الإجابة،. ذكر الافتقار بين يدي الدعاء وعظم الحاجة للإجابة.

15- لا ييأسن مؤمن من فرج لشدته، ولو رأى واقعه مغلق الأبواب أمام مطلبه، بل ولو تخلفت الأسباب المعتادة؛ فإن الله على كل شيء قدير.

16-قد تشرق شمس الفرج على المؤمن فيوهب فوق ما أراده أشياء ، وينفتح عليه باب الفرج بآلاء تفوق ما يتصور، وذلك من فضل الله وكرمه.

17-لا يسع المؤمن في نزول الشدة إلا أن يرضى بها؛ لأنها مقدرة عليه قبل أن يولد، ولا راد لما قضى الله بحصوله، فلا فائدة للضجر عند ذلك، كما عليه أن يوقن بأن الله لا يختار له إلا الخير، فلا يسعه حينئذ إلا أن يسلم ويقبل.

18-كم منزلة سامية ما بلغها الإنسان إلا عبر معراج الشدائد، ولولاها لبقي في مكانه.

19-تطمين المكروب عمل عظيم يخفف الأحزان؛ فكم في القرآن ورد: لا تحزن، ولا تحزنوا، لا تحزني...الخ. ولم يأت فيه الأمر بالحزن ولا الاستمرار عليه.

20- في آيات القرآن سلون المحزون، وضياء الطريق للمغموم، وبلسم الجرح لمن تناوبت عليه سهام الشدة، فإذا لفحتك نار الشدائد فاهرع إلى القرآن.

وفي هذه الشدائد المتنوعة والمتفاوتة التي سقناها في هذه القصص سلوة لكل مكروب، وتخفيف عن كل مهموم؛ فـ"في كل واد بنو سعد"، وفي الفرج الذي تلا تلك الشدائد نافذة أمل لكل محزون يرى من خلالها أن الفرج كالنهار الذي يعقب الليل ولابد؛ فلا يأس وما تشتد إلا لتنفرج، وعلى قدر الشدة يكون الفرج بل وأزيد.

**الفهرس**

1. ( ) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 323). [↑](#footnote-ref-1)
2. ( ) رواه الحاكم، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-2)
3. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 78). [↑](#footnote-ref-3)
4. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 107). [↑](#footnote-ref-4)
5. ( ) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (4/ 241). [↑](#footnote-ref-5)
6. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 151). [↑](#footnote-ref-6)
7. ( ) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (4/ 246). [↑](#footnote-ref-7)
8. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 162). [↑](#footnote-ref-8)
9. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 154). [↑](#footnote-ref-9)
10. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 157). [↑](#footnote-ref-10)
11. ( ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (2/ 407). [↑](#footnote-ref-11)
12. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 161). [↑](#footnote-ref-12)
13. ( ) الفوائد لابن القيم (ص: 136). [↑](#footnote-ref-13)
14. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 165). [↑](#footnote-ref-14)
15. ( ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 208). [↑](#footnote-ref-15)
16. ( ) تفسير ابن كثير (6/ 571). [↑](#footnote-ref-16)
17. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( ) البحر المحيط في التفسير (6/ 86). [↑](#footnote-ref-18)
19. ( ) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (2/ 507). [↑](#footnote-ref-19)
20. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( ) الذخائر والعبقريات (1/ 235). [↑](#footnote-ref-21)
22. ( ) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 507). [↑](#footnote-ref-22)
23. ( ) تفسير الطبري (15/ 310). [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) تفسير ابن كثير (8/ 171). [↑](#footnote-ref-24)
25. ( ) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (ص: 81). [↑](#footnote-ref-25)
26. ( ) ينظر: سورة نوح: الآيات: [5-28]. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 190). [↑](#footnote-ref-27)
28. ( ) ينظر: التحرير والتنوير(23-47-50) بتصرف. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( ) التحرير والتنوير (23/ 150). [↑](#footnote-ref-29)
30. ( ) تفسير البيضاوي(3/ 374). [↑](#footnote-ref-30)
31. ( ) التحرير والتنوير (11/ 295). [↑](#footnote-ref-31)
32. ( ) المحرر الوجيز(3/ 362). [↑](#footnote-ref-32)
33. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 67). [↑](#footnote-ref-33)
34. ( ) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (8/ 223). [↑](#footnote-ref-34)
35. ( ) تفسير ابن كثير (3/ 297). [↑](#footnote-ref-35)
36. ( ) تفسير ابن كثير (1/ 209). [↑](#footnote-ref-36)
37. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 68). [↑](#footnote-ref-37)
38. ( ) التحرير والتنوير (12/ 215). [↑](#footnote-ref-38)
39. ( ) الذخائر والعبقريات (2/ 16). [↑](#footnote-ref-39)
40. ( ) تفسير ابن كثير (3/ 412). [↑](#footnote-ref-40)
41. ( ) تفسير ابن كثير (8/ 171). [↑](#footnote-ref-41)
42. ( ) التحرير والتنوير (8 / 234). [↑](#footnote-ref-42)
43. ( ) تفسير الطبري (15/ 407)، تفسير ابن كثير (2/ 551). [↑](#footnote-ref-43)
44. ( ) ينظر كتاب " مقابلات قصة يوسف عليه السلام" باب: الشدة والفرج، لكاتب هذه السطور. بتصرف. [↑](#footnote-ref-44)
45. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 164). [↑](#footnote-ref-45)
46. () البحر المديد (3/358). [↑](#footnote-ref-46)
47. () رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-47)
48. () الفرج بعد الشدة للتنوخي (5/23). [↑](#footnote-ref-48)
49. () تفسير القاسمي = محاسن التأويل (6/217). [↑](#footnote-ref-49)
50. () تفسير القاسمي = محاسن التأويل (6/218). [↑](#footnote-ref-50)
51. ( ) رسائل ابن حزم (1/ 231). [↑](#footnote-ref-51)
52. () تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص:411). [↑](#footnote-ref-52)
53. ( ) ينظر كتاب " مقابلات قصة يوسف عليه السلام" باب: الشدة والفرج، لكاتب هذه السطور. بتصرف. [↑](#footnote-ref-53)
54. () زهرة التفاسير (7/3785). [↑](#footnote-ref-54)
55. () تفسير ابن كثير (4/374). [↑](#footnote-ref-55)
56. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (5/ 17). [↑](#footnote-ref-56)
57. () تفسير ابن كثير(4/392). [↑](#footnote-ref-57)
58. () تفسير الرازي : مفاتيح الغيب (18/89). [↑](#footnote-ref-58)
59. () الدر الفريد وبيت القصيد (8/174). [↑](#footnote-ref-59)
60. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 186). [↑](#footnote-ref-60)
61. () في ظلال القرآن (4/341). [↑](#footnote-ref-61)
62. () رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-62)
63. () شفاء العليل (33-34). [↑](#footnote-ref-63)
64. () المحرر الوجيز (3/289). [↑](#footnote-ref-64)
65. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 161). [↑](#footnote-ref-65)
66. ( ) ينظر كتاب " مقابلات قصة يوسف عليه السلام" باب: الشدة والفرج، لكاتب هذه السطور. بتصرف. [↑](#footnote-ref-66)
67. () التفسير الوسيط لطنطاوي (7/411). [↑](#footnote-ref-67)
68. ( ) تفسير ابن كثير (3/ 466). [↑](#footnote-ref-68)
69. ( ) تفسير الطبري (19/ 556). [↑](#footnote-ref-69)
70. ( ) الوسيط لسيد طنطاوي (ص: 3199). [↑](#footnote-ref-70)
71. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-71)
72. () الأدرة -بالضم-: نفخة في الخصية، يقال: رجل آدر بين الأدر بفتح الهمزة والدال. النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق (1/ 31). [↑](#footnote-ref-72)
73. () رواه الطبري، تفسير الطبري(20/335)، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم(5/ 1573). وقوّى إسناده ابن حجر. فتح الباري(8/535). [↑](#footnote-ref-73)
74. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (5/ 53). [↑](#footnote-ref-74)
75. ( ) في ظلال القرآن (5/ 2678). [↑](#footnote-ref-75)
76. ( ) تفسير الطبري (16/ 59). [↑](#footnote-ref-76)
77. ( ) صحيح البخاري (3/ 1227). [↑](#footnote-ref-77)
78. ( ) تفسير ابن كثير (3/ 461). [↑](#footnote-ref-78)
79. ( ) تفسير ابن كثير (1/ 371). [↑](#footnote-ref-79)
80. ( ) تفسير ابن كثير (3/ 35). [↑](#footnote-ref-80)
81. ( ) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص: 354). [↑](#footnote-ref-81)
82. ( ) تفسير القرطبي (15/ 210). [↑](#footnote-ref-82)
83. ( ) رواه ابن حبان وأبو يعلى والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح. [↑](#footnote-ref-83)
84. ( ) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (7/ 213). [↑](#footnote-ref-84)
85. ( ) تفسير القرطبي (11/ 325). [↑](#footnote-ref-85)
86. ( ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (4/ 238). [↑](#footnote-ref-86)
87. ( ) التحرير والتنوير (23/ 269). [↑](#footnote-ref-87)
88. ( ) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5/ 32). [↑](#footnote-ref-88)
89. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-89)
90. ( ) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (ص: 91). [↑](#footnote-ref-90)
91. ( ) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (4/ 58). [↑](#footnote-ref-91)
92. ( ) تفسير الطبري (18/ 507). [↑](#footnote-ref-92)
93. ( ) مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص: 287). [↑](#footnote-ref-93)
94. ( ) التحرير والتنوير (17/ 126). [↑](#footnote-ref-94)
95. ( ) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 485). [↑](#footnote-ref-95)
96. ( ) التحرير والتنوير (17/ 127). [↑](#footnote-ref-96)
97. ( ) الفوائد لابن القيم (ص: 201). [↑](#footnote-ref-97)
98. ( ) رواه البخاري ومسلم. [↑](#footnote-ref-98)
99. ( ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 160). [↑](#footnote-ref-99)
100. ( ) إعتاب الكتاب (ص: 220). [↑](#footnote-ref-100)
101. ( ) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 200). [↑](#footnote-ref-101)
102. ( ) التحرير والتنوير (29/ 99). [↑](#footnote-ref-102)
103. ( ) البحر المديد(6/ 290). [↑](#footnote-ref-103)
104. ( ) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (2/ 433). [↑](#footnote-ref-104)
105. ( ) تفسير ابن كثير (7/ 40). [↑](#footnote-ref-105)
106. ( ) التنوير شرح الجامع الصغير (6/ 98). [↑](#footnote-ref-106)
107. ( ) رواه أحمد والترمذي والحاكم وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-107)
108. ( ) زاد المعاد (4/ 185). [↑](#footnote-ref-108)
109. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (1/ 62). [↑](#footnote-ref-109)
110. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-110)
111. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-111)
112. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-112)
113. ( ) تفسير الماوردي = النكت والعيون (5/ 67). [↑](#footnote-ref-113)
114. ( ) تفسير ابن كثير (7/ 40). [↑](#footnote-ref-114)
115. ( ) الكامل في اللغة والأدب (3/ 66). [↑](#footnote-ref-115)
116. ( ) أيسر التفاسير للجزائري (3/ 438). [↑](#footnote-ref-116)
117. ( ) تفسير الطبري (6/ 359). [↑](#footnote-ref-117)
118. ( ) بدائع الفوائد (3/ 279). [↑](#footnote-ref-118)
119. ( ) تفسير السعدي (ص: 945). [↑](#footnote-ref-119)
120. ( ) مجموع الفتاوى (14/ 14). [↑](#footnote-ref-120)
121. ( ) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 318). [↑](#footnote-ref-121)
122. ( ) بدائع الفوائد (4/ 12). [↑](#footnote-ref-122)
123. ( ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 361). [↑](#footnote-ref-123)
124. ( ) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (3/ 494). [↑](#footnote-ref-124)
125. ( ) التحرير والتنوير (17/ 135). [↑](#footnote-ref-125)
126. ( ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (3/ 369). [↑](#footnote-ref-126)
127. ( ) تفسير البغوي (5/ 222). [↑](#footnote-ref-127)
128. (( متفق عليه. [↑](#footnote-ref-128)
129. (( متفق عليه. [↑](#footnote-ref-129)
130. (( رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-130)
131. ( ) زهرة التفاسير (ص: 4622). [↑](#footnote-ref-131)
132. ( ) رواه ابن ماجه، والترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-132)
133. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-133)
134. ( ) ينظر في أمثلة متعددة: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين. [↑](#footnote-ref-134)
135. ( ) تفسير الماوردي = النكت والعيون (2/ 312). [↑](#footnote-ref-135)
136. ( ) الرحيق المختوم (ص: 151). [↑](#footnote-ref-136)
137. ( ) رواه الترمذي، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-137)
138. ( ) رواه الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-138)
139. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-139)
140. ( ) تفسير الطبري (14/ 325). [↑](#footnote-ref-140)
141. ( ) رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن. [↑](#footnote-ref-141)
142. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-142)
143. ( ) رواه الطبري، وقال ابن حجر: مرسل جيد. [↑](#footnote-ref-143)
144. ( ) أَيْ: حَسْبك حَسْبك. [↑](#footnote-ref-144)
145. ( ) رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. [↑](#footnote-ref-145)
146. ( ) تفسير ابن كثير (2/ 453). [↑](#footnote-ref-146)
147. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-147)
148. ( ) رواه أحمد، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-148)
149. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح الإسناد. [↑](#footnote-ref-149)
150. ( ) رواه ابن حبان وابن جرير، ورجاله رجال الصحيح. [↑](#footnote-ref-150)
151. ( ) تفسير الطبري (8/ 476-477). [↑](#footnote-ref-151)
152. () الفوائد، لابن القيم (ص: 41). [↑](#footnote-ref-152)
153. ( ) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (3/ 1068). [↑](#footnote-ref-153)
154. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-154)
155. ( ) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 332)، زاد المسير في علم التفسير (2/ 230). [↑](#footnote-ref-155)
156. ( ) رواه الحاكم في مستدركه وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. [↑](#footnote-ref-156)
157. ( ) زاد المسير في علم التفسير (4/ 133). [↑](#footnote-ref-157)
158. ( ) تفسير الماوردي = النكت والعيون (5/ 316). [↑](#footnote-ref-158)
159. ( ) التفسير البسيط، للواحدي (20/ 325). [↑](#footnote-ref-159)
160. ( ) نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص: 583). [↑](#footnote-ref-160)
161. ( ) أدب الدنيا والدين (ص: 367). [↑](#footnote-ref-161)
162. ( ) تفسير الطبري (13/ 477). [↑](#footnote-ref-162)
163. ( ) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2/ 321)، تفسير الرازي (15/ 474)، التفسير الوسيط لطنطاوي (6/ 79). [↑](#footnote-ref-163)
164. ( ) تفسير الطبري (17/ 304). [↑](#footnote-ref-164)
165. ( ) رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه، وهو صحيح. [↑](#footnote-ref-165)
166. ( ) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 123). [↑](#footnote-ref-166)
167. ( ) البحر المحيط في التفسير (3/ 463). [↑](#footnote-ref-167)
168. ( ) تفسير الطبري (3/ 220). [↑](#footnote-ref-168)
169. ( ) البحر المحيط في التفسير (2/ 54). [↑](#footnote-ref-169)
170. ( ) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 68). [↑](#footnote-ref-170)
171. ( ) البحر المحيط في التفسير (3/ 210). [↑](#footnote-ref-171)
172. ( ) رواه أبو داود، وهو صحيح الإسناد. [↑](#footnote-ref-172)
173. ( ) البحر المحيط في التفسير (3/ 463)، الهداية الى بلوغ النهاية (2/ 1196). [↑](#footnote-ref-173)
174. ( ) تفسير الطبري (23/ 291). [↑](#footnote-ref-174)
175. ( ) التفسير الوسيط لطنطاوي (14/ 410-411). [↑](#footnote-ref-175)
176. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-176)
177. ( ) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (2/ 369). [↑](#footnote-ref-177)
178. ( ) تفسير الطبري (14/ 283). [↑](#footnote-ref-178)
179. ( ) زهرة التفاسير (6/ 3326). [↑](#footnote-ref-179)
180. ( ) فتح القدير للشوكاني (2/ 421). [↑](#footnote-ref-180)
181. ( ) رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن. [↑](#footnote-ref-181)
182. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-182)
183. ( ) البحر المحيط في التفسير (3/ 330). [↑](#footnote-ref-183)
184. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-184)
185. ( ) الرحيق المختوم (ص: 238). [↑](#footnote-ref-185)
186. ( ) رواه مسلم. [↑](#footnote-ref-186)
187. ( ) الرحيق المختوم (ص: 238). [↑](#footnote-ref-187)
188. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-188)
189. () رواه أحمد، مسند أحمد (4/368) (2609)، قال الأرناؤوط:" إسناده حسن". [↑](#footnote-ref-189)
190. () ينظر: تفسير الطبري (7/305-306)، تفسير القرطبي (4/240)، النكت والعيون (1/430)، اللباب في علوم الكتاب (5/606). تفسير ابن كثير (2/143). زاد المسير (1/478)، الكشف والبيان (3/186). تفسير الطبري (7/313-314). [↑](#footnote-ref-190)
191. ( ) التحرير والتنوير (10/ 156). [↑](#footnote-ref-191)
192. ( ) رواه البخاري. [↑](#footnote-ref-192)
193. ( ) تفسير القرطبي (12/ 299). [↑](#footnote-ref-193)
194. ( ) الرحيق المختوم (ص: 44). [↑](#footnote-ref-194)
195. ( ) تفسير الرازي (6/ 378). [↑](#footnote-ref-195)
196. ( ) رواه أحمد، وهو حسن. [↑](#footnote-ref-196)
197. ( ) تفسير ابن كثير (4/ 40). [↑](#footnote-ref-197)
198. ( ) السيرة النبوية (4/ 145). [↑](#footnote-ref-198)
199. ( ) تفسير الطبري (23/ 407). [↑](#footnote-ref-199)
200. ( ) سنن الترمذي (5/ 417). [↑](#footnote-ref-200)
201. ( ) ينظر سورة التوبة من الآية: 43-110. [↑](#footnote-ref-201)
202. ( ) تفسير الطبري (23/ 293). [↑](#footnote-ref-202)
203. ( ) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (4/ 242). [↑](#footnote-ref-203)
204. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-204)
205. ( ) تفسير الطبري (14/ 465-466). [↑](#footnote-ref-205)
206. ( ) تفسير الطبري (14/ 543)، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 318)، التحرير والتنوير (11/ 53)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (4/ 109). [↑](#footnote-ref-206)
207. ( ) تفسير الرازي (16/ 165). [↑](#footnote-ref-207)
208. ( ) متفق عليه. [↑](#footnote-ref-208)
209. ( ) تفسير ابن كثير (4/ 204). [↑](#footnote-ref-209)
210. ( ) تفسير القرطبي (8/ 281). [↑](#footnote-ref-210)
211. ( ) الفرج بعد الشدة للتنوخي (5/ 77). [↑](#footnote-ref-211)
212. ( ) تفسير القرطبي (8/ 281). [↑](#footnote-ref-212)